مَاذَا بَعْدَ الْحَجِّ؟

ابن شهوان

جَمْعٌ وَتَرْتِيبٌ
مِنْ خُطَبِ وَمُحَاضَرَاتِ فَضِيلَةِ الشَّيْخِ
أَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ رَسْلَان
حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

حَجَّةُ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ أَعْوَامٍ مِنْ مُفَارَقَتِهِ مَكَّةَ

فَإِنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخْرَجَهُ قَوْمُهُ مِنْ بَلَدِهِ وَبَلَدِ آبَائِهِ، فَخَرَجَ ﷺ طَرِيدًا وَحِيدًا إِلَّا مَا كَانَ مِمَّنْ سَانَدَ رَسُولَ اللهِ ﷺ مِنَ الْبَشَرِ.

وَمَا مَرَّتْ أَعْوَامٌ كَثِيرَةٌ حَتَّىٰ عَادَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ بَلَدِهِ وَبَلَدِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، إِلَىٰ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَالْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، عَادَ النَّبِيُّ ﷺ حَاجًّا وَمُعْتَمِرًا فِي مِائَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفًا، وَمَا مَرَّ مِنَ الزَّمَانِ إِلَّا لَحْظَةٌ أَوْ كَلَحْظَةٍ وَاحِدَةٍ بِأَعْوَامٍ لَا تَبْلُغُ شَيْئًا فِي عُمُرِ الزَّمَانِ، وَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَىٰ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ حَاجًّا وَمُعْتَمِرًا عَلَيْهِ ثِيَابُ إِحْرَامِهِ، وَقَدْ سَاقَ عَلِيٌّ هَدْيَهُ ﷺ، فَكَانَتْ آيَةً بَاهِرَةً وَعَلَامَةً ظَاهِرَةً لَا يَقْوَىٰ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

أَعَزَّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ نَبِيَّهُ ﷺ، وَنَصَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حِزْبَهُ، وَأَعْلَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَلِمَتَهُ فِي الْخَافِقَيْنِ، وَعَادَ النَّبِيُّ ﷺ يَسُوقُ عَلِيٌّ هَدْيَهُ.

وَالنَّبِيُّ ﷺ قَرَّبَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ هَدْيًا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقُرْبَانًا، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ أَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ رُمْحَهُ وَأَقْبَلَ عَلَىٰ هَدْيِهِ يُرِيدُ أَنْ يَنْحَرَهُ، وَالْإِبِلُ تُنْحَرُ قَائِمَةً -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-، فَكَانَتِ الْإِبِلُ تَتَسَابَقُ تُقَدِّمُ أَعْنَاقَهَا إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِتَحْظَىٰ بِطَعْنَةٍ مِنْ رُمْحِهِ ﷺ، إِبِلٌ تَعْشَقُ الْمَوْتَ عَلَىٰ يَدِ خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ!!

تَتَسَابَقُ تَمُدُّ أَعْنَاقَهَا إِلَىٰ الَّذِي حَرَّرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ يَدَيْهِ الْإِنْسَانَ مِنَ الْخُرَافَةِ وَالْوَهْمِ، وَأَقَامَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْبَشَرِيَّةَ بِمَنْهَجِهِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، تَمُدُّ أَعْنَاقَهَا إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ لِتَحْظَىٰ بِطَعْنَةٍ.. وَلَوْ بِطَعْنَةٍ مِنْ رُمْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ[1].

وَكَانَ قَبْلَ يَوْمِ النَّحْرِ ﷺ قَائِمًا عَلَىٰ صَعِيدِ عَرَفَاتٍ، فَسَمِعَ صَوْتًا وَانْتَهَىٰ إِلَىٰ مَسْمَعَيْهِ جَلَبَةٌ وَلَغَطٌ، فَقَالَ: «**مَا الشَّأْنُ؟**».

فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ! هَذَا رَجُلٌ حَاجٌّ مُحْرِمٌ فِي ثِيَابِ إِحْرَامِهِ فِي صَعِيدِ عَرَفَاتٍ قَدْ وَقَصَتْهُ دَابَّتُهُ -وَقَصَتْهُ نَاقَتُهُ: يَعْنِي أَوْقَعَتْهُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَدُقَّ عُنُقُهُ فَمَاتَ-، فَاجْتَمَعَ حَوْلَهُ الْخَلْقُ، فَمَا تَرَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْ إِحْرَامِهِ، وَلَا تُمِسُّوهُ طِيبًا، وَلَا تُخَمِّرُوا وَجْهَهُ** -يَعْنِي: لَا تُغَطُّوا وَجْهَهُ-؛ **فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**»[2].

---

(١) أخرج مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٨٨٦-٨٩١، رقم ١٢١٨)، من حديث: جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ حَاجٌّ،... فذكر حديث حجة الوداع، وفيه: «...، **ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَىٰ الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَعْطَىٰ عَلِيًّا، فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ،**...».

والحديث أصله متفق عليه.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ١٣٥-١٣٦، رقم ١٢٦٥)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٨٦٥-٨٦٦، رقم ١٢٠٦)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَشْغُولُونَ بِأَحْوَالِهِمْ، فِي الْعَرَقِ عَلَىٰ حَسَبِ حَالِهِمْ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ، وَهَذَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا، فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ يَقُولُ: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تُخَمِّرُوا وَجْهَهُ، وَكَفِّنُوهُ فِي ثَوْبَيْ إِحْرَامِهِ، وَلَا تُمِسُّوهُ طِيبًا، وَاغْسِلُوهُ بِمَاءٍ وَسِدْرٍ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَبِّيًا**».(*).

❊❊❊

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «مِيلَادٌ بَعْدَ الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ٢٤-١-٢٠٠٣م.

دُرُوسٌ وَأَخْلَاقٌ مُسْتَفَادَةٌ مِنْ عِبَادَةِ الْحَجِّ

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَنَا عَنْ دُرُوسٍ بَاهِرَاتٍ فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ مِنْ عِبَادَاتِ دِينِ الْإِسْلَامِ الْحَنِيفِ.

وَهَذِهِ الْعِبَادَةُ الْجَلِيلَةُ مَدْرَسَةٌ لَا تَنْقَضِي دُرُوسُهَا، وَلَا تَنْتَهِي الِاسْتِفَادَةُ مِنْ مَعَالِمِهَا.

* **مِنْ دُرُوسِ عِبَادَةِ الْحَجِّ: تَعَلُّمُ إِخْلَاصِ النِّيَّةِ: هَذِهِ الْعِبَادَةُ الْعَظِيمَةُ تُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ إِخْلَاصَ النِّيَّةِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]؛ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي يَنْوِي فِيهِ الْحَاجُّ عَاقِدًا نِيَّتَهُ عَلَىٰ الرَّحِيلِ.. نَعَمْ عَلَىٰ الرَّحِيلِ، فَرُبَّمَا لَا يَعُودُ، مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ يَأْمُرُهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُطِيبَ النَّفَقَةَ؛ لِأَنَّ مُسْلِمًا -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِ- فِيمَا يَرْوِيهِ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، **وَقَالَ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢].

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّسُولُ ﷺ «**الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ**»؛ تَشَعَّثَ شَعْرُ رَأْسِهِ، وَاغْبَرَّتْ بَشَرَتُهُ، وَوَجَدَ مِنْ عَذَابِ وَعَنَاءِ السَّفَرِ مَا اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، «**يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ؛ فَأَنَّىٰ يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ**»[١] كَمَا قَالَ النَّبِيُّ الْهُمَامُ ﷺ.

مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ الَّذِي يُرِيدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ أَنْ يَحُجَّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ؛ عَلَيْهِ أَنْ يُخْلِصَ نِيَّتَهُ لِلهِ جَلَّ وَعَلَا، فَالْحَجُّ يُعَلِّمُ الْمُسْلِمَ كَيْفَ يُخْلِصُ النِّيَّةَ لِلهِ، وَكَيْفَ يَأْتِي بِالْعَمَلِ عَلَىٰ مُرَادِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنْ يُطِيبَ النَّفَقَةَ، وَأَنْ يُحَصِّلَ مِنْ حَلَالٍ، أَلَّا يَكُونَ آكِلًا إِلَّا مِنْ وَجْهٍ صَحِيحٍ شَرَعَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَارْتَضَاهُ النَّبِيُّ الْكَرِيمُ ﷺ.

* **مِنْ دُرُوسِ الْحَجِّ الْعَظِيمَةِ: حُسْنُ الْخُلُقِ وَضَبْطُ الْأَلْسِنَةِ:** النَّبِيُّ ﷺ عَلَّمَنَا أَنَّ «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[٢].

النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا كَيْفَ يَضْبِطُ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ، كَيْفَ يَسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ مُتَحَكِّمًا فِي جَوَارِحِهِ، يَقُولُ الرَّسُولُ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

يُولَدُ وِلَادَةً جَدِيدَةً فِي هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ، فَيَعُودُ مِنْ هُنَاكَ وَلَا ذَنْبَ لَهُ كَمَا أَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٧٠٣، رقم ١٠١٥).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٣٨٢، رقم ١٥٢١)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٩٨٣ - ٩٨٤، رقم ١٣٥٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَاللِّسَانُ جَارِحٌ جِدًّا، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنَعَ فِي الْحَجِّ فِي الْإِحْرَامِ مِنْ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ وَمِنْ إِسَالَتِهَا، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حَرَّمَ عَلَىٰ الْمُحْرِمِ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دَامَ مُحْرِمًا، وَاللِّسَانُ يَجْرَحُ أَشَدَّ مِمَّا تَجْرَحُ السِّكِّينُ؛ لِذَلِكَ يَأْمُرُنَا الرَّسُولُ ﷺ بِضَبْطِ اللِّسَانِ، بِإِمْسَاكِ مَعَانِي الْكَلَامِ؛ حَتَّىٰ لَا تَقَعَ الْكَلِمَةُ إِلَّا عَلَىٰ وَجْهِهَا الصَّحِيحِ، وَكَذَلِكَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَمَرَنَا أَنَّهُ إِذَا مَا نَوَىٰ الْوَاحِدُ مِنَّا الْحَجَّ إِلَىٰ بَيْتِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الْحَرَامِ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ أَمَرَنَا بِأَنْ نَكُونَ ضَابِطِينَ لِأَلْسِنَتِنَا، وَأَلَّا نَجْعَلَ ذَلِكَ السَّبُعَ خَارِجًا مِنْ قَفَصِهِ مُلْتَهِمًا لِحَسَنَاتِنَا، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَخْبَرَ أَصْحَابَهُ يَوْمًا سَائِلًا إِيَّاهُمْ: «**أَتَدْرُونَ مِنَ الْمُفْلِسُ؟**».

فَقَالُوا: الْمُفْلِسُ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا دِينَارَ.

قَالَ: «**لَا، الْمُفْلِسُ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ وَأَعْمَالٍ صَالِحَاتٍ؛ وَلَكِنْ يَأْتِي وَقَدْ ضَرَبَ هَذَا، وَشَتَمَ هَذَا، وَاعْتَدَىٰ عَلَىٰ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيَأْخُذُ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، حَتَّىٰ إِذَا فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِهِمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**»[١].

---

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٩٩٧، رقم ٢٥٨١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

* **مِنْ دُرُوسِ الْحَجِّ الْجَلِيلَةِ: طِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ:** النَّبِيُّ ﷺ عَلَّمَنَا فِي هَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْعَظِيمَةِ أَحْوَالًا جَلِيلَةً وَدُرُوسًا عَظِيمَةً؛ أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِطِيبِ الْكَلَامِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الْعُمْرَةُ إِلَى الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ مِنْ جَزَاءٍ إِلَّا الْجَنَّةُ**»(١).

قَالَ ﷺ: «**الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ**».

قَالُوا: يَا نَبِيَّ اللهِ! مَا بِرُّ الْحَجِّ؟

كَيْفَ يَكُونُ الْحَجُّ مَبْرُورًا مَقْبُولًا عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

قَالَ: «**إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَطِيبُ الْكَلَامِ**».

وفي رواية: «**إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَإِفْشَاءُ السَّلَامِ**»(٢).

وَهُوَ أَوَّلُ مَدْلُولٍ عَلَيْهِ فِي مَدِينَةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ الْهِجْرَةِ؛ لِأَنَّ عَبْدَ اللهِ بْنَ سَلَامٍ رضي الله عنه -وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ، كَانَ مَا زَالَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ رضي الله عنه- «لَمَّا دَخَلَ

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٥٩٧، رقم ١٧٧٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٩٨٣، رقم ١٣٤٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الطيالسي في «**المسند**»: (٣/ ٢٨٦، رقم ١٨٢٤)، وأحمد في «**المسند**»: (٣/ ٣٢٥ و٣٣٤، رقم ١٤٤٨٢ و١٤٥٨٢)، والطبراني في «**المعجم الأوسط**»: (٦/ ٣٦٢) و(٨/ ٢٠٣)، والحاكم في «**المستدرك**»: (١/ ٤٨٣)، والبيهقي في «**السنن الكبرى**»: (٥/ ٢٦٢)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه.

والحديث صحح إسناده الحاكم وكذا صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٧، رقم ١١٠٤).

النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ -زَادَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ تَعْظِيمًا وَتَشْرِيفًا- انْجَفَلَ النَّاسُ إِلَيْهِ -يَعْنِي: خَرَجَ النَّاسُ جَمِيعًا يَلْقَوْنَ رَسُولَ اللهِ ﷺ-.

قَالَ: وَكُنْتُ فِيمَنْ ذَهَبَ لِيَرَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

قَالَ: فَنَظَرْتُ إِلَىٰ وَجْهِهِ ﷺ، فَعَلِمْتُ أَنَّ وَجْهَهُ لَيْسَ بِوَجْهِ كَذَّابٍ ﷺ.

وَكَانَ أَوَّلَ مَا سَمِعْتُهُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ أَنْ دَخَلَ الْمَدِينَةَ: أَنْ قَالَ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطِيبُوا الْكَلَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ؛ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِسَلَامٍ**»(١).

*** مِنْ دُرُوسِ الْحَجِّ الْعَظِيمَةِ: بَيَانُ عِظَمِ حُرْمَةِ الدِّمَاءِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ:**
النَّبِيُّ ﷺ كَانَ يَوْمًا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَنَظَرَ إِلَىٰ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ ثُمَّ قَالَ: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ**»(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٤/ ٦٥٢، رقم ٢٤٨٥)، وابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٤٢٣، رقم ١٣٣٤) و (٢/ ١٠٨٣، رقم ٣٢٥١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**الصحيحة**»: (٢/ ١١٣، رقم ٥٦٩).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ١٢٩٧، رقم ٣٩٣٢)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَطُوفُ بِالْكَعْبَةِ، وَيَقُولُ: «**مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ، مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ**».
والحديث صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٦٣٠، رقم ٢٤٤١).

النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّ عَلَىٰ حُرْمَةِ الْعَبْدِ الْمُسْلِمِ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَنَّهَا أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حُرْمَةً مِنَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ فِي حُرْمَتِهَا عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّنَا فِي هَذَا الْحَدِيثِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَوْ أَنَّ رَجُلًا قَامَ فَأَخَذَ فَأْسَهُ أَوْ مِعْوَلَهُ فَاسْتَقْبَلَ الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ فَنَقَضَهَا حَجَرًا حَجَرًا؛ لَكَانَ ذَلِكَ فِي الْحُرْمَةِ أَهْوَنَ عِنْدَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ نَقْضِ بُنْيَانِ عَبْدٍ مُسْلِمٍ، مِنَ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ عَبْدٍ مُسْلِمٍ بِالْقَتْلِ وَإِرَاقَةِ دِمَاهُ.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**لَوْ أَنَّ أَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ عَبْدٍ مُسْلِمٍ؛ لَكَبَّهُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي النَّارِ**»(١).

الرَّسُولُ ﷺ كَانَتْ حَجَّتُهُ حَجَّةَ الْوَدَاعِ، وَفِيهَا أَرْسَىٰ ﷺ قَوَاعِدَ عَظِيمَةً جِدًّا، «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**»(٢).

الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْحَجَّةِ الْعَظِيمَةِ، فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْعَظِيمِ، فِي هَذَا الْجَمْعِ الْجَلِيلِ، فِي الْحَجَّةِ الْيَتِيمَةِ الْمُفْرَدَةِ الَّتِي حَجَّهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

---

(١) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٤/ ١٧، رقم ١٣٩٨)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ»، وصححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٦٣٠ رقم ٢٤٤٢)، وروي عن أبي بكرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، بنحوه.

(٢) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٤/ ١٩٨٦، رقم ٢٥٦٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

لَا يَجُوزُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَبَدًا أَنْ يُطْلِقَ الْإِنْسَانُ لِسَانَهُ فِي أَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَنْ تَمْتَدَّ يَدُهُ بِأَذِيَّةٍ عَلَىٰ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَنْ يَعْتَدِيَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنْ أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ، «**كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ حَرَامٌ، دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ**».

فَالرَّسُولُ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ يُعَلِّمُ الْأُمَّةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ دَرْسًا عَظِيمًا جَلِيلًا، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي خُطْبَتِهِ الْجَامِعَةِ، يَقُولُ لَهُمْ: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**».

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ.

قَالَ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**».

قُلْنَا: بَلَىٰ.

قَالَ: «**أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟**».

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ.

فَقَالَ: «**أَلَيْسَ ذُو الحَجَّةِ؟**».

قُلْنَا: بَلَىٰ.

قَالَ «**أَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**».

قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ.

قَالَ «**أَلَيْسَتْ بِالْبَلْدَةِ الحَرَامِ؟**».

قُلْنَا: بَلَىٰ.

قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، إِلَىٰ يَوْمِ تَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**».

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ، فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ**»(١).

* **مِنْ دُرُوسِ الْحَجِّ الْعَظِيمَةِ: التَّوَاضُعُ وَمُجَانَبَةُ إِيذَاءِ الْمُسْلِمِينَ**: الرَّسُولُ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا هَذِهِ الدُّرُوسَ الَّتِي كَانَتْ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَالرَّسُولُ ﷺ فِي هَذِهِ الْحَجَّةِ تَأْتِي مِنْهُ أَفْعَالٌ يُفَسِّرُهَا الْعُلَمَاءُ مِنْ بَعْدُ.

لَمَّا سَاقَ عَلِيٌّ رضي الله عنه هَدْيَ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، اسْتَقْبَلَ الرَّسُولُ ﷺ هَدْيَهُ فَنَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ، ثُمَّ أَعْطَىٰ الرُّمْحَ عَلِيًّا رضي الله عنه فَنَحَرَ الْبَقِيَّةَ مِنْ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ(٢).

الرَّسُولُ ﷺ مَاتَ بَعْدَ أَحَدٍ وَثَمَانِينَ يَوْمًا مِنْ يَوْمِ عَرَفَاتٍ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَاتَ وَلَهُ مِنَ الْعُمْرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ عَامًا بِعَدَدِ الْإِبِلِ الَّتِي نَحَرَهَا مِنْ هَدْيِهِ ﷺ -بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي وَنَفْسِي ﷺ-.

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٥٧٣-٥٧٤، رقم ١٧٤١)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٣٠٧، رقم ١٦٧٩)، من حديث: أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: خَطَبَنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**». الحديثَ.

(٢) تقدم تخريجه.

الرَّسُولُ ﷺ يُعَلِّمُنَا دُرُوسًا بَاهِرَاتٍ، يَقُولُ لِعُمَرَ رضي الله عنه: «**يَا عُمَرُ! إِنَّ بِكَ فَضْلَ قُوَّةٍ، فَلَا تُزَاحِمْ عَلَى الْحَجَرِ، لَا تُؤْذِ الْمُسْلِمِينَ**»(١).

النَّبِيُّ ﷺ هُوَ نَفْسُهُ ﷺ الَّذِي دَلَّ عَلَى أَنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ أَحْجَارِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُ لَوْلَا مَا دَنَّسَهُ مِنْ خَطَايَا الْمُشْرِكِينَ؛ لَكَانَ عَلَى حَالِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا أَبْيَضَ مِنَ الثَّلْجِ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ(٢).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ لِعُمَرَ: «**لَا تُزَاحِمْ عَلَى الْحَجَرِ، وَلَا تُؤْذِ الْمُسْلِمِينَ**»؛ لِأَنَّ أَذِيَّةَ الْمُسْلِمِ أَمْرٌ عَظِيمٌ، وَالنَّبِيُّ ﷺ اسْتَلَمَ الْحَجَرَ وَقَبَّلَهُ(٣).

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**المصنف**»: (٥/ ٣٦، رقم ٨٩١٠)، وابن أبي شيبة في «**المصنف**»: (٤/ ١٥٢)، وأحمد في «**المسند**»: (١/ ٢٨)، والبيهقي في «**السنن الكبرى**»: (٥/ ٨٠)، بإسناد صحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٣/ ٢١٧، رقم ٨٧٧)، والنسائي في «**المجتبى**»: (٥/ ٢٢٦)، من حديث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَزَلَ الحَجَرُ الأَسْوَدُ مِنَ الجَنَّةِ، وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ**».

وفي رواية لأحمد: «... **أَشَدّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ**...».

قال الترمذي: «حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٩، رقم ١١٤٦).

(٣) أخرج البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٤٧٥، رقم ١٦١١)، عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أنه سُئِل عَنِ اسْتِلَامِ الحَجَرِ، فَقَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَسْتَلِمُهُ وَيُقَبِّلُهُ».

والحديث أصله متفق عليه.

هُنَا تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ!

هُنَا تَسِيلُ الدُّمُوعُ!

هُنَا تَرِقُّ الْأَنْفُسُ وَتَصْفُو الْأَرْوَاحُ!

هُنَا يَتَجَرَّدُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُنْيَاهُ، وَيَسْتَعْلِي الْإِنْسَانُ عَلَىٰ وَاقِعِهِ!

هُنَا يَسْمُو الْإِنْسَانُ فَوْقَ مَادِّيَّةِ الْعَالَمِ إِلَىٰ رُوحَانِيَّةِ الْقُلُوبِ!

هَذَا الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ خَرَجَتْ فِرْقَةٌ مَارِقَةٌ عَلَىٰ دِينِ الْإِسْلَامِ فَسَرَقَتْهُ، وَحُطِّمَ تَحْطِيمًا، تَكَسَّرَ إِلَىٰ أَجْزَاءٍ، وَأَرَادُوا أَنْ يَنْقُلُوهُ -وَهُمُ الْقَرَامِطَةُ[1]- إِلَىٰ (الْأَحْسَاءِ) إِلَىٰ (هَجَرَ)[2]، فَكَانُوا كُلَّمَا حَمَلُوهُ عَلَىٰ بَعِيرٍ مَشَىٰ خَطَوَاتٍ ثُمَّ

---

(١) «**القرامطة**» نِسْبَة إلىٰ رجل يُقَال لَهُ: حمدَان قرمط أُحْدُ دعاتهم، وهم أيضا العبيديون الفاطميون نسبة لعبيد الله القداح المهدي، أول من أسس دولة إسماعيلية فاطمية، وامتدت دولتهم في شمال إفريقية والشام، حتىٰ أزالها السلطان الناصر صلاح الدّين الأيوبي -رحمه الله تعالىٰ-، وقد أضروا بالمسلمين من وقت ظهورهم إلىٰ وقتنا الحاضر أضرارًا بالغة في السر والعلن، فأظهروا الكفر والإباحية والفجور وسفك دماء المسلمين، وهذا ديدنهم كلما تمكنوا وغلبوا علىٰ مكان، والله المستعان.

انظر: «**الفرق بين الفرق**»: (ص٣٨- ٤٧)، و«**الملل والنحل**»: (١/ ١٩١- ١٩٨)، و«**لوامع الأنوار**»: (١/ ٨٣)، و«**فضائح الباطنية**»: (ص١٤٢ - ١٤٥)، و«**الأعلام**»: (٦/ ٣٤).

(٢) «**الأَحْسَاء**» بفتح الألف وإسكان الحاء وفتح السين: مدينة من مملكة هجر والتي كانت تعتبر جزءًا من إقليم البحرين الممتد من الفرات شمالًا إلىٰ عمان جنوبًا، أسسها زعيم القرامطة أبو طاهر سليمان بن الحسن بن بهرام الجنّابي القِرْمِطي سنة (٣١٧هـ) وجعلها =

مَاتَ، فَمَا وَصَلَ إِلَىٰ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُرِيدُونَ أَنْ يُوَصِّلُوهَ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ مَاتَ سَبْعُمِائَةِ بَعِيرٍ، وَظَلَّ هُنَالِكَ أَعْوَامًا مُتَطَاوِلَاتٍ، فَلَمَّا أَرَادُوا أَنْ يُعِيدُوهُ عَادَ بِهِ بَعِيرٌ مَا أَصَابَهُ مِنْ ضُرٍّ!!(١).

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ أَنْزَلَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ أَبْيَضَ مِنَ الثَّلْجِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُنَا فِي الْحَجِّ دُرُوسًا بَاهِرَاتٍ كَمَا قَالَ عَلِيٌّ رضي الله عنه: «لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ؛ لَكَانَ الْمَسْحُ عَلَىٰ بَاطِنِ الْخُفِّ أَوْلَىٰ مِنَ الْمَسْحِ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ»(٢)، وَلَكِنِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ غَيْبٌ لَمْ تَرَهُ الْأَعْيُنُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ بِالنِّسْبَةِ لَنَا نَحْنُ غَيْبٌ لَمْ تَرَهُ الْأَعْيُنُ.

= مقرًّا لحكمه، وفي نفس العام زحف أبو طاهر إلىٰ مكة يوم التروية سنة ٣١٧ هـ وقتل من فيها من حجيج ذلك العام ثلاثين ألفا ونهب الأموال وردم زمزم بجثث ورؤوس القتلىٰ واقتلع الحجر الأسود وعاد به إلىٰ الأحساء وبقي في إحدىٰ قراها قرابة ٢٢ سنة، ولما أنكر عليه فعله عُبَيْد اللهِ الْعَلَوِيّ الفاطمي أَعَادَ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ إلىٰ مكانه سنة (٣٣٩هـ).

والأَحْسَاء الآن محافظة سعودية مشهورة عامرة، تقع في المنطقة الشرقية وتبعد عن العاصمة الرياض ٣٢٨ كلم.

انظر: «**معجم البلدان**»: (١/ ١١١-١١٢)، و«**مسالك الأبصار**»: (٢٤/ ١٥٥-١٥٧، ترجمة ٥٣).

(١) «**مرآة الزمان**»: السنة السابعة عشر وثلاثمائة، (١٦/ ٥٥٣)، و«**تاريخ الإسلام**»: (٧/ ٢٢٠)، و«**سير أعلام النبلاء**»: (١٥/ ٣٢١، ترجمة ١٥٩)، و«**الوافي بالوفيات**»: (١٥/ ٢٢٥، ترجمة أَبُو طَاهِر القرمطي الجنّابي).

(٢) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (١/ ٤٢، رقم ١٦٢ و١٦٣ و١٦٤)، من حديث: عَلِيٍّ رضي الله عنه، قَالَ:

لَوْ كَانَ الدِّينُ بِالرَّأْيِ لَكَانَ أَسْفَلُ الْخُفِّ أَوْلَىٰ بِالْمَسْحِ مِنْ أَعْلَاهُ، وَقَدْ «**رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ عَلَىٰ ظَاهِرِ خُفَّيْهِ**». =

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَأْمُرُ بِالْأَمْرِ مِنَ السَّمَاءِ يُبَلِّغُهُ نَبِيَّهُ ﷺ، وَهُوَ دَرْسٌ جَلِيلٌ مِنْ دُرُوسِ الْحَجِّ مِنَ الْيَوْمِ الْأَوَّلِ بِإِخْلَاصِ النِّيَّةِ؛ إِيمَانًا بِاللهِ الَّذِي فَرَضَ الْحَجَّ فَرِيضَةً مَاضِيَةً إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِيمَانًا بِالنَّبِيِّ الَّذِي بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- مَا أَمَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ خَلْقَهُ، وَإِيمَانًا بِالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ قَلْبِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَإِيمَانًا بِوَعْدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ عَلَىٰ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الْعَظِيمَةِ بِالْأَجْرِ الْجَزِيلِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ، «**رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

وَالنَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُ الْأُمَّةَ فِي الْحَجِّ دُرُوسًا مَاضِيَاتٍ؛ لَمَّا كَانَ فِي يَوْمِ النَّحْرِ دَعَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يُدْعَىٰ مَعْمَرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: «**يَا مَعْمَرُ! أَلَدَيْكَ مُوسَىٰ؟**».

فَقَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ.

فَقَالَ: «**ائْتِ بِهَا وَاحْلِقْ لِي رَأْسِي**».

وَنَاوَلَ مَعْمَرًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ شِقَّ رَأْسِهِ -جَانِبَ رَأْسِهِ- الْأَيْمَنَ، وَأَخَذَ مَعْمَرٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَحْلِقُ شَعْرَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَلْطَفَ الْخَلْقِ!

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَرْحَمَ النَّاسِ!

=

والحديث صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (١/ ١٤٠، رقم ١٠٣).

(١) تقدم تخريجه.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْذَبَ الْخَلْقِ لَفْظًا، وَأَحَنَّ الْخَلْقِ حَنَانًا ﷺ!

أَخَذَ يُدَاعِبُ مَعْمَرًا وَهُوَ يَحْلِقُ رَأْسَهُ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا مَعْمَرُ! أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْمُوسَىٰ فِي يَدَيْكَ؟!!**»(١).

هَذَا هُوَ سِلَاحُكَ فِي يَدِكَ، وَهَذِهِ رَأْسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْكَ!

فَقَالَ: وَاللهِ إِنَّهَا لَنِعْمَةٌ كُبْرَىٰ يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ.

فَرَغَ مَعْمَرٌ مِنْ حَلْقِ نِصْفِ رَأْسِ رَسُولِ اللهِ ﷺ الْأَيْمَنِ، وَأَخَذَ النَّبِيُّ ﷺ الشَّعْرَ الْمَحْلُوقَ ثُمَّ آتَاهَ أَصْحَابَهُ وَقَالَ: «**فَرِّقُوهُ بَيْنَكُمْ**» ﷺ، فَكَادُوا أَنْ يَتَقَاتَلُوا عَلَيْهِ، كُلٌّ يُرِيدُ أَنْ يَحْظَىٰ بِشَعْرَةٍ مِنْ شَعْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ مَحَبَّةً لَا وَثَنِيَّةً، لَا عِبَادَةً لِلذَّاتِ وَلَا عِبَادَةً لِلْأَشْيَاءِ، وَإِنَّمَا مَحَبَّةً لِسَيِّدِ الْكَائِنَاتِ ﷺ، فَكَادُوا أَنْ يَتَقَاتَلُوا عَلَىٰ شَعْرِ رَسُولِ اللهِ، ثُمَّ حَلَقَ نِصْفَهُ الْأَيْسَرَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ أَبُو طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيُّ؟**».

---

(١) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (٦/ ٤٠٠)، وابن أبي عاصم في «**الآحاد والمثاني**»: (٢/ ٧-٨، رقم ٦٧١ و٦٧٢)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (٢٠/ ٤٤٧-٤٤٨، رقم ١٠٩٦)، من حديث: مَعْمَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ:

لَمَّا نَحَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ هَدْيَهُ بِمِنًىٰ، أَمَرَنِي أَنْ أَحْلِقَهُ، فَأَخَذْتُ الْمُوسَىٰ فَقُمْتُ عَلَىٰ رَأْسِهِ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي وَجْهِي وَقَالَ لِي: «**يَا مَعْمَرُ، أَمْكَنَكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ شَحْمَةِ أُذُنِهِ، وَفِي يَدِكَ الْمُوسَىٰ؟**» قَالَ: فَقُلْتُ: أَمَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ نِعْمَةِ اللهِ عَلَيَّ وَمَنِّهِ، فَقَالَ: «**أَجَلْ إِذًا أُقِرُّ لَكَ**»، ثُمَّ حَلَقْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

والحديث ذكره الهيثمي في «**مجمع الزوائد**»: (٣/ ٢٦١، رقم ٥٥٩٦)، وقال: «فِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عُقْبَةَ مَوْلَىٰ مَعْمَرٍ؛ ذَكَرَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَلَمْ يُوَثَّقْ وَلَمْ يُجَرَّحْ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ».

فَقَالَ: أَنَا ذَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَنَاوَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ الشَّعْرَ كُلَّهُ، فَذَهَبَ بِهَا أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ(١).

*** مِنْ أَعْظَمِ دُرُوسِ الْحَجِّ: إِعْلَانُ مَبْدَأِ الْمُسَاوَاةِ، وَاجْتِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَوَحْدَتُهُمْ:**

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ لَنَا فِي هَذَا الْحَجِّ دُرُوسًا وَعِبَرًا؛ مِنْ ذَلِكَ: أَنَّكَ تَجِدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ الْمَرْحُومَةَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ هُنَاكَ عَلَىٰ الصَّعِيدِ فِي ثِيَابِ الْإِحْرَامِ كَأَنَّهَا الْأَكْفَانُ لَا تَرَىٰ إِلَّا الْبَيَاضَ هُنَاكَ، وَالْقَوْمُ قَدْ أَقْبَلُوا عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِي عَشِيَّةِ عَرَفَةَ، «**إِنَّ اللهَ** عَزَّ وَجَلَّ -كَمَا أَخْبَرَ ﷺ عَنْهُ جَلَّ وَعَلَا- **يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَىٰ عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا(٢) غُبْرًا(٣)**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ٢٧٣، رقم ١٧١)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٩٤٧، رقم ١٣٠٥)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

«**أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَىٰ مِنًىٰ، فَأَتَىٰ الْجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًىٰ وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلَّاقِ خُذْ وَأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ الْأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ**».

وفي رواية لمسلم: «... فَبَدَأَ بِالشِّقِّ الْأَيْمَنِ، فَوَزَّعَهُ الشَّعَرَةَ وَالشَّعَرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ صَنَعَ بِالْأَيْسَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «**هَا هُنَا أَبُو طَلْحَةَ؟**» فَدَفَعَهُ إِلَىٰ أَبِي طَلْحَةَ»، وفي أخرىٰ أنه ﷺ قال له: «**اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ**».

(٢) «**شُعْثًا**» جَمْعُ أَشْعَثَ، وَهُوَ: الْمُتَفَرِّقُ مِنَ الشَّعْرِ.

(٣) «**غُبْرًا**» جَمْعُ أَغْبَرَ، وَهُوَ: الَّذِي الْتَصَقَ الْغُبَارُ بِأَعْضَائِهِ.

(٤) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٩٨٢، رقم ١٣٤٨)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ:

إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمِ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ؟**».

=

لِأَيِّ شَيْءٍ جَاءُوا؟

يُبَاهِي رَبُّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- بِالْحُجَّاجِ بِالْحَجِيجِ عَلَىٰ صَعِيدِ عَرَفَاتٍ مَلَائِكَةَ السَّمَاءِ، أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قُلْتُمْ فِيهِمْ سَلَفًا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

فَكَمْ مِنْ نَبِيٍّ، وَكَمْ مِنْ رَسُولٍ، وَكَمْ مِنْ صَالِحٍ، وَكَمْ مِنْ وَلِيٍّ، وَكَمْ مِنْ مُقَرَّبٍ، وَكَمْ مِنْ عَالِمٍ، وَكَمْ مِنْ مُتَعَلِّمٍ يَخْرُجُ مِنْ صُلْبِ آدَمَ إِلَىٰ أَنْ يَرِثَ اللهُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، يُبَاهِي اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، كَأَنَّمَا يَرُدُّ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ عَلَيْهِمْ مَقَالَتَهُمُ الَّتِي قَالُوهَا يَوْمَ أَنْ قَالَ لَهُمْ: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠].

هُنَاكَ عَلَىٰ صَعِيدِ عَرَفَاتٍ تَنْتَهِي وَتَنْمَحِي جَمِيعُ الْخِلَافَاتِ!

هُنَاكَ عَلَىٰ صَعِيدِ عَرَفَاتٍ زِيٌّ وَاحِدٌ بِلَحْنٍ وَاحِدٍ وَإِنْ تَبَايَنَتِ اللُّغَاتُ!

«وَسُبْحَانَ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ كُلَّهَا» كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا!![(١)].

=

وفي حديثي ابن عمرو وأبي هريرة رضي الله عنهم عند أحمد في «**المسند**»: (٢/ ٢٢٤ و٣٠٥): «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِأَهْلِ عَرَفَةَ، فَيَقُولُ: انْظُرُوا إِلَىٰ عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْثًا غُبْرًا**»، وصححهما الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٣-٣٤، رقم ١١٥٢ و١١٥٣).

(١) ذكره البخاري معلقا مجزوما به في «**الصحيح**»: (١٣/ ٣٧٢)، وأخرجه موصولا النسائي في «**المجتبىٰ**»: (٦/ ١٦٨، رقم ٣٤٦٠)، وابن ماجه في «**السنن**»: (١/ ٦٧ و٦٦٦، رقم ١٨٨ و٢٠٦٣)، عن عَائِشَةَ، قَالَتْ:

=

وَكَمْ مِنْ أَسْوَدَ وَأَحْمَرَ وَكَمْ مِنْ أَبْيَضَ وَأَصْفَرَ، كُلُّ هَؤُلَاءِ جَاءُوا بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَلْسُنٍ مُتَبَايِنَاتٍ، الْجَمِيعُ يُقْبِلُ عَلَىٰ رَبِّنَا -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ-!

وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَطْلَبًا لَا يَطْلُبُهُ سِوَاهُ!

وَكَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِذَوْبِ الْقَلْبِ بِحَنَايَا الْكَبِدِ!

كَمْ مِنْ مُقْبِلٍ عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ تَائِبٍ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ!

أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ تَذُوبُ خِلَافَاتُهَا عِنْدَ الْعَمَلِ، وَتَتَمَزَّقُ مِزَقًا وَتَتَبَدَّدُ بِدَدًا عِنْدَمَا لَا تُقْبِلُ عَلَىٰ الْعَمَلِ وَتَكْتَفِي بِالْكَلَامِ.

إِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- يَجْعَلُ النَّشِيدَ الْأَعْظَمَ فِي صَعِيدِ عَرَفَاتٍ كَمَا نَشَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَأَتَىٰ بِهِ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**»(١).

=

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ خَوْلَةُ بِنْت ثَعْلَبَةَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَمَا بَرِحَتْ حَتَّىٰ أَنْزَلَ اللهُ: ﴿**قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا**﴾ [المجادلة: ١].

والحديث صححه ابن حجر في «**تغليق التعليق**»: (٥/ ٣٣٩)، وكذا الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٧/ ١٧٥، رقم ٢٠٨٧).

(١) أخرج الترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٥٧٢، رقم ٣٥٨٥)، من حديث: ابن عمرو رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».

وفي رواية لأحمد (٢/ ٢١٠): «كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ:...» فذكره بمثله.

=

نَسْأَلُ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- أَنْ يَجْمَعَنَا جَمِيعًا مِنْ قَابِلٍ عَلَىٰ صَعِيدِ عَرَفَاتٍ، وَأَنْ يَحْمِلَنَا إِلَىٰ بَلَدِهِ الْحَرَامِ حُجَّاجًا وَمُعْتَمِرِينَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ وَالْقَادِرُ عَلَيْهِ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

* **مِنْ دُرُوسِ عِبَادَةِ الْحَجِّ الْعَظِيمَةِ: تَذَكُّرُ الْآخِرَةِ، وَاحْتِسَابُ الْجُهْدِ وَالنَّفَقَاتِ الْمَبْذُولَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: لَا بُدَّ أَنْ يَنْظُرَ الْإِنْسَانُ فِي مَطْلَعِ سُورَةِ الْحَجِّ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَبَثًا أَنْ يَذْكُرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْقِيَامَةَ فِي مَطْلَعِ السُّورَةِ الَّتِي سُمِّيَتْ بِهَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْجَلِيلَةِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا مَا تَأَمَّلَ فِي فَرِيضَةِ الْحَجِّ وَجَدَ أَنَّ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ الشَّجَنِ[1]؛ الْإِنْسَانُ فِيهَا مُوَدِّعٌ لِأَهْلِهِ، مُوَدِّعٌ لِرِفَاقِهِ، مُوَدِّعٌ لِذَوِيهِ، خَارِجٌ مُتَجَرِّدًا مِنْ دُنْيَاهُ، مُسَافِرٌ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

الْإِنْسَانُ يَذْهَبُ وَرُبَّمَا لَا يَعُودُ، الْإِنْسَانُ يَخْرُجُ مِنْ دُنْيَاهُ إِلَىٰ قِطْعَةٍ مِنَ الْعَذَابِ.. إِلَىٰ السَّفَرِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ**»[2].

=

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حسن غَرِيبٌ»، وكذا حسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٢٢٦، رقم ١٥٣٦).

(١) «**الشَّجَنُ**»، أي: الْهَمُّ والحُزْن، وَالْجَمْعُ أَشْجانٌ وشُجُونٌ.

انظر: «**لسان العرب**»: (١٣/ ٢٣٢)، مادة: (شجن).

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٦٢٢، رقم ١٨٠٤)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ١٥٢٦، رقم ١٩٢٧)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

الْإِنْسَانُ يُنْفِقُ فِي الْحَجِّ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «**وَأَجْرُكَ عَلَىٰ قَدْرِ نَصَبِكَ وَنَفَقَتِكَ**»(١).

أَجْرُكَ فِي الْحَجِّ عَلَىٰ قَدْرِ نَصَبِكَ، عَلَىٰ قَدْرِ تَعَبِكَ، عَلَىٰ قَدْرِ الْمَشَقَّةِ الَّتِي تَقَعُ عَلَىٰ عَاتِقِكَ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِكَ فِي الْحَجِّ، أَجْرُكَ فِي الْحَجِّ عَلَىٰ قَدْرِ نَصَبِكَ وَنَفَقَتِكَ، وَعَلَىٰ قَدْرِ إِنْفَاقِكَ وَبَذْلِكَ.

الرَّسُولُ ﷺ عِنْدَمَا أَمَرَنَا بِذَلِكَ؛ وَعَدَنَا عَلَيْهِ مَوْعِدًا حَسَنًا جَلِيلًا، يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**وَاتِرُوا.. تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»(٢).

إِنَّ نَفَقَتَكَ لَا تُنْقِصُ مِنْ مَالِكَ شَيْئًا..

يُعَلِّمُكَ الْبَذْلَ -أَيِ: الْحَجُّ-، وَيُعَلِّمُكَ الْإِنْفَاقَ -أَيِ: الْحَجُّ-، وَيُعَلِّمُكَ الْجُودَ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**بِرُّ الْحَجِّ طِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (٣/ ٦١٠، رقم ١٧٨٧)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٢/ ٨٧٦ - ٨٧٧، رقم ١٢١١)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، يَصْدُرُ النَّاسُ بِنُسُكَيْنِ، وَأَصْدُرُ بِنُسُكٍ؟ قَالَ: «**انْتَظِرِي، فَإِذَا طَهُرْتِ، فَاخْرُجِي إِلَىٰ التَّنْعِيمِ، فَأَهِلِّي ثُمَّ ائْتِينَا بِمَكَانِ كَذَا، وَلَكِنَّهَا عَلَىٰ قَدْرِ نَفَقَتِكِ أَوْ نَصَبِكِ**».

(٢) أخرجه الترمذي في «**الجامع**»: (٣/ ١٦٦، رقم ٨١٠)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: (٥/ ١١٥ - ١١٦، رقم ٢٦٣١)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال الترمذي: «هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ»، وكذا قال الألباني في «**الصحيحة**»: (٣/ ١٩٦-١٩٩، رقم ١٢٠٠).

(٣) تقدم تخريجه.

الرَّسُولُ ﷺ يَدْعُونَا إِلَىٰ قَبْضِ الْيَدِ؟!!

لَا، بَلْ إِلَىٰ بَسْطِهَا ﷺ، إِلَىٰ الْجُودِ وَإِلَىٰ السَّخَاءِ وَإِلَىٰ الْعَطَاءِ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ؛ لِكَيْ يَعُودَ الْإِنْسَانُ جَدِيدًا عَلَىٰ وَاقِعِهِ، نَافِعًا لِإِخْوَانِهِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «**رَجَعَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»[١].

* **مِنْ أَعْظَمِ وَأَجَلِّ دُرُوسِ الْحَجِّ: رَبْطُ مَاضِي الْأُمَّةِ بِحَاضِرِهَا**: إِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ يَرْبِطُ مَاضِيَ الْأُمَّةِ بِحَاضِرِهَا بِمُسْتَقْبَلِهَا؛ لِأَنَّ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ تَذْهَبُ إِلَىٰ هُنَالِكَ تَسْعَىٰ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، لِأَجْلِ أَيِّ شَيْءٍ؟

لِأَنَّ أُمَّنَا الْبَرَّةَ الْبَارَّةَ كَانَتْ تَسْعَىٰ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَبْحَثَ عَنِ الْمَاءِ لِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَىٰ التَّسْلِيمِ-.

هُنَالِكَ نَسْتَلِمُ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ، وَنُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ عِنْدَ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَنَتَأَمَّلُ فِي تِلْكَ الْمَنَاسِكِ، بَلْ إِنَّنَا نَرْجُمُ جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ، ثُمَّ نَرْجُمُ الَّتِي تَلِيهَا فَالَّتِي تَلِيهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ -كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ-؛ إِحْيَاءً لِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ كَمَا فِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ ذَهَبَ بِإِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، فَسَاخَ فِي الْأَرْضِ**[٢]**، ثُمَّ أَتَىٰ بِهِ الْجَمْرَةَ الْوُسْطَىٰ، فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، فَسَاخَ فِي الْأَرْضِ، ثُمَّ أَتَىٰ بِهِ الْجَمْرَةَ الْقُصْوَىٰ،**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) «**فساخَ في الأرض**»، أي: غاص فيها.

فَعَرَضَ لَهُ الشَّيْطَانُ، فَرَمَاهُ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، فَسَاخَ فِي الْأَرْضِ»(١)، فَهَكَذَا تَفْعَلُونَ إِحْيَاءً لِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

بَلْ هَذِهِ الضَّحَايَا الَّتِي نُقَرِّبُهَا قُرْبَانًا لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.. هَذِهِ الضَّحَايَا إِحْيَاءٌ لِسُنَّةِ إِبْرَاهِيمَ فِي ذَلِكَ الْفِدَاءِ الْعَظِيمِ الَّذِي فَدَىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ إِسْمَاعِيلَ.(*).

وَمِنْ دُرُوسِ الْحَجِّ الْعَظِيمَةِ: التَّسْلِيمُ الْمُطْلَقُ لِلهِ مَعَ الْأَخْذِ بِالْأَسْبَابِ؛ فَإِنَّ الْمَشَاعِرَ وَمَوَاضِعَ الْأَنْسَاكِ -فِي الْحَجِّ- مِنْ جُمْلَةِ الْحِكَمِ فِيهَا؛ أَنَّ فِيهَا تَذْكِيرَاتٍ بِمَقَامَاتِ الْخَلِيلِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فِي عِبَادَاتِ رَبِّهِمْ، وَإِيمَانًا بِاللهِ وَرُسُلِهِ، وَحَثًّا عَلَىٰ الِاقْتِدَاءِ بِهِمْ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِمُ الدِّينِيَّةِ، وَكُلُّ أَحْوَالِ الرُّسُلِ دِينِيَّةٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿**وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى**﴾ [البقرة: ١٢٥].

لَمَّا تَمَّ بُنْيَانُ الْبَيْتِ، وَتَمَّ لِلْخَلِيلِ هَذَا الْأَثَرُ الْجَلِيلُ؛ أَمَرَهُ اللهُ أَنْ يَدْعُوَ النَّاسَ وَيُؤَذِّنَ فِيهِمْ بِحَجِّ هَذَا الْبَيْتِ، فَجَعَلَ يَدْعُو النَّاسَ وَهُمْ يَفِدُونَ إِلَىٰ هَذَا

---

(١) أخرجه أحمد في «**المسند**»: (١/ ٣٠٦-٣٠٧)، وابن خزيمة في «**الصحيح**»: (٤/ ٣١٥، رقم ٢٩٦٧)، والحاكم في «**المستدرك**»: (١/ ٤٦٦)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٥/ ٥٠٤-٥٠٦)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ ذَهَبَ بِإِبْرَاهِيمَ إِلَىٰ جَمْرَةِ الْعَقَبَةِ،...**» الحديث، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**الشَّيْطَانَ تَرْجُمُونَ، وَمِلَّةَ أَبِيكُمْ تَتْبَعُونَ**».

قال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٣٧، رقم ١١٥٦).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «مِيلَادُ بَعْدَ الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ٢٤-١-٢٠٠٣م.

الْبَيْتِ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ؛ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ دُنْيَاهُمْ وَأُخْرَاهُمْ وَيَسْعَدُوا، وَلِيَزُولَ عَنْهُمْ شَقَاؤُهُمْ.

وَفِي هَذِهِ الْأَثْنَاءِ حِينَ تَمَكَّنَ حُبُّ إِسْمَاعِيلَ مِنْ قَلْبِهِ، وَأَرَادَ اللهُ أَنْ يَمْتَحِنَ خَلِيلَهُ إِبْرَاهِيمَ لِتَقْدِيمِ مَحَبَّةِ رَبِّهِ وَخُلَّتِهِ الَّتِي لَا تَقْبَلُ الْمُشَارَكَةَ وَالْمُزَاحَمَةَ، فَأَمَرَهُ فِي الْمَنَامِ أَنْ يَذْبَحَ إِسْمَاعِيلَ، وَرُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ، فَقَالَ لِإِسْمَاعِيلَ: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾؛ أَيْ: خَضَعَا لِأَمْرِ اللهِ، وَانْقَادَا لِأَمْرِهِ تَعَالَىٰ، وَوَطَّنَا أَنْفُسَهُمَا عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْمُزْعِجِ الَّذِي لَا تَكَادُ النُّفُوسُ تَصْبِرُ عَلَىٰ عُشْرِ مِعْشَارِهِ.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾، نَزَلَ الْفَرَجُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآۚ﴾ [الصافات: ١٠٢- ١٠٥].

فَحَصَلَ تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَىٰ هَذِهِ الْمِحْنَةِ وَالْبَلْوَىٰ الشَّاقَّةِ الْمُزْعِجَةِ، وَحَصَلَتِ الْمُقَدِّمَاتُ وَالْجَزْمُ الْمُصَمِّمُ، وَتَمَّ لَهُمَا الْأَجْرُ وَالثَّوَابُ، وَحَصَلَ لَهُمَا الشَّرَفُ وَالْقُرْبُ وَالزُّلْفَىٰ مِنَ اللهِ، وَمَا ذَلِكَ مِنْ أَلْطَافِ الرَّبِ بِعَزِيزٍ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُاْ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٥- ١٠٧].

وَأَيُّ ذِبْحٍ أَعْظَمُ مِنْ كَوْنِهِ حَصَلَ بِهِ مَقْصُودُ هَذِهِ الْعِبَادَةِ الَّتِي لَا يُشْبِهُهَا عِبَادَةٌ، وَصَارَ سُنَّةً فِي عَقِبِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُتَقَرَّبُ بِهِ إِلَىٰ اللهِ، وَيُدْرَكُ بِهِ ثَوَابُهُ وَرِضَاهُ: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٨- ١٠٩].

ثُمَّ إِنَّ اللهَ أَتَمَّ النِّعْمَةَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، وَرَحِمَ زَوْجَتَهُ سَارَّةَ عَلَىٰ الْكِبَرِ وَالْعُقْمِ وَالْيَأْسِ بِالبِشَارَةِ بِالِابْنِ الْجَلِيلِ وَهُوَ إِسْحَاقُ، وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبُ.(*).

وَهَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»، وَإِنَّ مَا أَتَىٰ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَزَمَ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ فِي أَرْضِهِ، وَهُوَ خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ جَعَلَ الْإِيمَانَ فِي هَذَا الْأَمْرِ بَادِيًا، فَإِنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِمُقْتَضَىٰ عَقْدِ الْإِيمَانِ يَقُولُ لِلْعَبْدِ: اتْرُكْ أَهْلَكَ.

فَيَقُولُ: نَعَمْ.

يَقُولُ لِلْعَبْدِ: غَادِرْ وَطَنَكَ.

فَيَقُولُ: نَعَمْ.

يَقُولُ لِلْعَبْدِ: اخْلَعْ ثَوْبَكَ.

فَيَقُولُ: نَعَمْ.

يَقُولُ لِلْعَبْدِ: طُفْ بِالْبَيْتِ سَبْعًا.

فَيَقُولُ: نَعَمْ.

يَقُولُ لِلْعَبْدِ: اسْعَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ سَبْعًا.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «سِيرَةُ الْخَلِيلِ ﷺ» - الجمعة ٢٠ من ذي القعدة ١٤٣٦هـ | ٤-٩-٢٠١٥م.

فَيَقُولُ: نَعَمْ.

يَقُولُ لِلْعَبْدِ: انْحَرْ هَدْيَكَ.

يَقُولُ: نَعَمْ.

يَقُولُ لِلْعَبْدِ: احْلِقْ رَأْسَكَ.

يَقُولُ: نَعَمْ.

يَجْعَلُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْأَمْرَ هَكَذَا، وَعَلَىٰ اسْتِجَابَةٍ مِنْ عَبْدِهِ هَكَذَا.(*).

عِبَادَ اللهِ! «إِذَا طَلَعَتْ شَمْسُ التَّوْحِيدِ وَبَاشَرَتْ جَوَانِبَهَا الْأَرْوَاحُ، وَنُورَهَا الْبَصَائِرُ؛ تَجَلَّتْ بِهَا ظُلُمَاتُ النَّفْسِ وَالطَّبْعِ؛ وَتَحَرَّكَتْ بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي طَلَبِ مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، فَسَافَرَ الْقَلْبُ فِي بَيْدَاءِ الْأَمْرِ، وَنَزَلَ مَنَازِلَ الْعُبُودِيَّةِ مَنْزِلًا مَنْزِلًا، فَهُوَ يَنْتَقِلُ مِنْ عِبَادَةٍ إِلَىٰ عِبَادَةٍ، مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْبُودٍ وَاحِدٍ.

فَلَا تَزَالُ شَوَاهِدُ الصِّفَاتِ قَائِمَةً بِقَلْبِهِ، تُوقِظُهُ إِذَا رَقَدَ، وَتُذَكِّرُهُ إِذَا غَفَلَ، وَتَحْدُو بِهِ إِذَا سَارَ، وَتُقِيمُهُ إِذَا قَعَدَ، إِنْ قَامَ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنَ الرُّبُوبِيَّةِ وَالْقَيُّومِيَّةِ رَأَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَـٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٢-٣].

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «تَوَاضُعُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّتِهِ» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣١هـ | ٢٩-١٠-٢٠١٠م.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧].

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]»(١).(*).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].(*/٢).

عِبَادَ اللهِ! فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَظِيمَةِ الطَّيِّبَةِ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَسَىٰ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- أَنْ يَرْفَعَ الْكَرْبَ عَنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَعَسَىٰ اللهُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ- أَنْ يُؤَلِّفَ بَيْنَ قُلُوبِ أَبْنَائِهَا، وَأَنْ يَجْمَعَ شَمْلَهَا، وَأَنْ يُوَحِّدَ صُفُوفَهَا، وَأَنْ يَرْفَعَ رَايَتَهَا.(*/٣).

❊❊❊

(١) «مدارج السالكين»: (٣/ ٢٣٩).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «السَّيْرُ إِلَىٰ اللهِ وَالدَّارِ الْآخِرَةِ» - الْجُمُعَةُ ٢٥ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٦هـ| ٩-١٠-٢٠١٥م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «رَدُّ الِاعْتِدَاءِ عَلَىٰ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ» - الْجُمُعَة ٢٤ مِنْ رَبِيع الْأَوَّلِ ١٤٣٨هـ| ٢٣-١٢-٢٠١٦م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مِيلَادٌ بَعْدَ الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ٢٤-١-٢٠٠٣م

مِيلَادٌ بَعْدَ الْحَجِّ

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ! إِنَّ الْحَجَّ يُعَلِّمُ الْإِنْسَانَ كَيْفَ يُولَدُ مِنْ جَدِيدٍ؛ لِأَنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- يُعِيدُ الْمَرْءَ مِنْ تِلْكَ الرِّحْلَةِ جَدِيدًا عَلَىٰ وَاقِعِهِ، جَدِيدًا عَلَىٰ مُجْتَمَعِهِ، مَغْفُورًا لَهُ، قَدْ نَقَّىٰ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صَفْحَتَهُ، فَعَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُرْتَبِطًا بِذَلِكَ عَلَىٰ قَدْرِ وُسْعِهِ وَاسْتِطَاعَتِهِ.(*).

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ **قَالَ**: فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي، أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلْأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ.

قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي.

قَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**».

قَالَ: **قُلْتُ**: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ.

قَالَ: «**تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟**».

قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «مِيلَادٌ بَعْدَ الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ٢٤-١-٢٠٠٣م

قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).(*).

إِنَّ الْحَجَّ مَدْرَسَةٌ لَا تُقَدِّمُ فِيهَا قُرْبَانًا لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بُدْنًا تُنْحَرُ فَقَطْ، وَإِنَّمَا تَذْبَحُ عَلَىٰ مَذَابِحِ الْقُرْبِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خِصَالًا سَيِّئَاتٍ، وَتَعُودُ وَقَدْ طَلَّقْتَ صِفَاتٍ رَذِيلَاتٍ، تَأْتِي وَقَدِ اغْتَسَلْتَ، أَلَمْ يَقُلْهَا النَّبِيُّ ﷺ؟ وَأَنْتَ إِذَا مَا طُفْتَ بِالْبَيْتِ؛ يَعْنِي: طَوَافَ الرُّكْنِ.. بَعْدَ الْحَلْقِ.. بَعْدَ التَّقْصِيرِ.. بَعْدَ النَّحْرِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّكَ إِذَا مَا طُفْتَ بِالْبَيْتِ عِنْدَئِذٍ؛ جَاءَ الْمَلَكُ؛ لِأَنَّكَ تَطُوفُ وَلَا ذَنْبَ لَكَ فَيَجْعَلُ يَدَهُ** -يَدًا مَلَائِكِيَّةً طَاهِرَةً لَمْ تُدَنَّسْ قَطُّ بِمَعْصِيَةٍ- ثُمَّ دُعَاءٌ بِإِرْشَادٍ خَرَجَ خَبَرًا عَلَىٰ سَبِيلِ الْإِنْشَاءِ، وَالْمَعْنِيُّ بِهِ الدُّعَاءُ مِنْ بَعْدِ الْإِخْبَارِ، يَقُولُ الْمَلَكُ كَمَا قَالَ الْمُخْتَارُ ﷺ: «**اعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ**»؛ يَعْنِي: احْذَرْ فِيمَا هُوَ آتٍ، لَقَدْ عُدْتَ بِصَفْحَةٍ بَيْضَاءَ لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا تَلَوُّثَ، فَحَذَارِ! حَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ أَنْ تُلَوِّثَهَا! حَذَارِ ثُمَّ حَذَارِ أَنْ يُكْتَبَ فِيهَا شَيْءٌ بِقَلَمِ الْمَعْصِيَاتِ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٢١).

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١، و١٨١٩، و١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ: «الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ» - رُكْنِ الْحَجِّ - مُحَاضَرَة ٢٥ - الْخَمِيسُ ٦ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ٨-٩-٢٠١٦م.

يَقُولُ لَكَ الْمَلَكُ وَيَدُهُ بَيْنَ كَتِفَيْكَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ.. وَأَحْسَبُ أَنَّ أَحَدًا وَصَلَ إِلَىٰ هَذَا الْمَقَامِ وَعَادَ مَغْفُورًا لَهُ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَجِدَ مَسَّ يَدِ الْمَلَكِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؛ صِدْقًا وَيَقِينًا عَلَىٰ كَلَامِ النَّبِيِّ ﷺ: «**اعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَىٰ**»[1].

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ عِنْدَمَا كَانَ يُسْأَلُ ﷺ عَمَّا يُقَدَّمُ وَيُؤَخَّرُ؛ يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**افْعَلْ وَلَا حَرَجَ**»[2] ﷺ فِيمَا نَصَّ عَلَيْهِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَدُلُّنَا عَلَىٰ أَنَّ هَذَا الْحَجَّ مَدْرَسَةُ الْإِسْلَامِ الْكُبْرَىٰ، يَتَعَلَّمُ فِيهَا الْمَرْءُ دُرُوسًا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحَصِّلَهَا قَاعِدًا.

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**المصنف**»: (٥/ ١٤-١٦، رقم ٨٨٣٠)، والبزار في «**المسند**»: (١٢/ ٣١٧-٣١٨، رقم ٦١٧٧) واللفظ له، وابن حبان في «**الصحيح**» بترتيب ابن بلبان: (٥/ ٢٠٥-٢٠٧، رقم ١٨٨٧)، والطبراني في «**المعجم الكبير**»: (١٢/ ٤٢٥-٤٢٦، رقم ١٣٥٦٦)، والبيهقي في «**دلائل النبوة**»: (٦/ ٢٩٤)، من حديث: ابْنِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

قال رسول الله ﷺ: «...، **وَأَمَّا طَوَافُكَ بِالْبَيْتِ بَعْدَ ذَلِكَ**، -يَعْنِي: الإِفَاضَةَ-، **فَإِنَّكَ تَطُوفُ وَلا ذَنْبَ لَكَ، يَأْتِي مَلَكٌ حَتَّىٰ يَضَعَ يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْكَ، ثُمَّ يَقُولُ: اعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَىٰ**».

وفي رواية الأكثر: «...، **وَإِذَا قَضَىٰ آخِرَ طَوَافِهِ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**».

قال البزار: «وَهَذَا الْكَلَامُ قَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ وُجُوهٍ، ولَا نَعلم لَهُ طَرِيقًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ»، وكذا حسنه لغيره الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٩-١١، رقم ١١١٢)، وروي عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنحوه.

(٢) أخرجه البخاري في «**الصحيح**»: (١/ ١٨٠، رقم ٨٣)، ومسلم في «**الصحيح**»: (٣/ ٩٤٢، رقم ١٣٠٦)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

الرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ -فِيمَا يَقُولُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ صَحِيحًا- يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا فِيمَا أَخْبرَ عَنْهُ نَبِيُّهُ ﷺ: «**إِنَّ عَبْدًا وَسَّعْتُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ وَصَحَّحْتُ لَهُ فِي بَدَنِهِ تَمُرُّ عَلَيْهِ خَمْسَةٌ** -يَعْنِي: خَمْسَةُ أَعْوَامٍ- **لَا يَفِدُ عَلَيَّ فِيهَا** -يَعْنِي: الْبَيْتَ- **هُوَ مَحْرُومٌ**»(١).

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ؛ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**»(٢).

لَا يُنْقِصُ مِنْ مَالِكَ شَيْئًا، بَلْ يَزِيدُ.

هَذَا الْمُؤْتَمَرُ السَّنَوِيُّ الْعَظِيمُ لَا تَجِدُ لَهُ مَثِيلًا فِي دِينٍ، وَلَا تَجِدُ لَهُ مَثِيلًا فِي مِلَّةٍ أَبَدًا.

هَذَا الْمُؤْتَمَرُ السَّنَوِيُّ الْعَظِيمُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُنَظِّمَهُ حُكُومَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تُنَظِّمَهُ سُلْطَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُنَظِّمَهُ إِلَّا صَاحِبُ الْقُوَىٰ وَالْقُدَرِ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ هُوَ الْحَافِظُ، وَكَمْ مِنْ خَارِجٍ مِنْ بَيْتِهِ مُخَلِّفًا أَهْلَهُ وَذَوِيهِ، وَكَمْ مِنْ خَارِجٍ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مُخْلِصًا وَغَيْرَ مُخْلِصٍ، وَكَمْ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في «**المصنف**»: (٥/ ١٣، رقم ٨٨٢٦)، وأبو يعلىٰ في «**المسند**»: (٢/ ٣٠٤، رقم ١٠٣١)، وابن حبان في «**صحيحه**» بترتيب بن بلبان: (٩/ ١٦، رقم ٣٧٠٣)، والطبراني في «**الأوسط**»: (١/ ١٥٥، رقم ٤٨٦)، وغيرهم، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

والحديث صححه الألباني بمجموع طرقه في «**الصحيحة**»: (٤/ ٢٢١، رقم ١٦٦٢).

(٢) تقدم تخريجه.

مِنْ قَائِمٍ عَلَىٰ صَعِيدِ عَرَفَاتٍ يَدْعُو اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَيَغْفُلُ عَنْ دُعَائِهِ كَمَا بَيَّنَ لَنَا نَبِيُّنَا ﷺ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَذَلِكَ، كَمْ مِنْ قَائِمٍ هُنَاكَ وَقَاعِدٍ، وَكَمْ مِنْ بَاكٍ هُنَاكَ وَضَاحِكٍ!

وَهَذَا الْمُؤْتَمَرُ قَدْ حُشِدَ فِيهِ النَّاسُ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ تَجِدَ لَهُ مَثِيلًا، وَلَا يُمْكِنُ لِلْمُرَاقِبِ لِلْأُمَّةِ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ عِزَّهَا مِنْ ذُلِّهَا، يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ رِفْعَتَهَا مِنْ ضَعَتِهَا، يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ سَدَادَهَا وَرُشْدَهَا مِنْ ضَيْعَتِهَا وَعَيْبَتِهَا، يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ غِنَاهَا مِنْ فَقْرِهَا، يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ تَجَمُّعَهَا مِنْ تَفَرُّقِهَا، لَا يُمْكِنُ لِمُرَاقِبٍ يُرِيدُ أَنْ يَعْلَمَ ذَلِكَ وَلَا شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَعْلَمَهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ إِلَّا إِذَا كَانَ مُرَاقِبًا لِهَذَا الْوَفْدِ الْوَافِدِ وَالْحَشْدِ الْحَاشِدِ فِي هَذَا الْمَوْكِبِ السَّنَوِيِّ الْعَظِيمِ، فِي هَذَا الْمُؤْتَمَرِ الْإِسْلَامِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي يَأْتِي فِيهِ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِوَفْدِهِ، دَعَاهُمْ فَلَبَّوْا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، دَعَاهُمْ وَكَتَبَ لَهُمْ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ الَّتِي سَبَقَتْ.. كَتَبَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ فِيمَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِيمَا لَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَدْ قَالَهُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ أَبِيهِ-: «أَنَّهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ يُكْتَبُ وَفْدُ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(١)، يُكْتَبُ مَنْ يَحُجُّ فِي قَابِلٍ، يُكْتَبُ مَنْ يَحُجُّ فِي الْعَامِ الَّذِي يَلِي وَمَنْ يَعْتَمِرُ وَمَنْ يَفِدُ عَلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المَرْوَزِي في «**قيام الليل**» اختصار المقريزي: (ص٢٥٠)، والحاكم في «**المستدرك**»: (٢/ ٤٤٨-٤٤٩، رقم ٣٦٧٨)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (٥/ ٢٥٤، رقم ٣٣٨٨)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤]، قَالَ:

=

إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْذًا مِنْ كِتَابِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٧]؛ لِأَنَّ النَّاسَ فِي حَالَاتِهِمُ الْعَادِيَّةِ لَا يُطِيقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، لِأَنَّ النَّاسَ فِي حِلِّهِمْ لَا فِي تَرْحَالِهِمْ، فِي إِقَامَتِهِمْ لَا فِي ظَعْنِهِمْ، فِي حَالِ وُجْدِهِمْ لَا فِي حَالِ إِعْدَامِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، النَّاسُ فِي حَالِ إِقَامَتِهِمْ لَا فِي حَالِ غُرْبَتِهِمْ، النَّاسُ فِي حَالٍ لَا تتكَدَّرُ فِيهَا بَلَابِلُهُمْ وَلَا يَتَكَدَّرُ فِيهَا بَالُهُمْ، النَّاسُ مَعَ إِقَامَتِهِمْ لَا يُطِيقُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَضِيقُ أَخْلَاقُ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ؛ فَكَيْفَ إِذَا اجْتَمَعَتْ تِلْكَ الْمَلَايِينُ -وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فِي هَذَا الْمَكَانِ الضَّيِّقِ؟!!

وَمَكَّةُ ضَيِّقَةٌ يُوَسِّعُهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَيْفَ شَاءَ عَلَىٰ مَنْ شَاءَ بِمَا يَشَاءُ وَإِلَىٰ مَا يَشَاءُ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، ﴿بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، كَمَا قَالَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ.

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَجْعَلُ هَذَا الْحَشْدَ الْحَاشِدَ وَالْوَفْدَ الْوَافِدَ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ الضَّيِّقَةِ ظَاهِرًا، أَجْسَادٌ مُتَلَاصِقَاتٌ، عَرَقٌ يَسِيلُ، وَرَوَائِحُ تَفُوحُ، شُعُورٌ مُشَعَّثَةٌ،

=

«**يُكْتَبُ مِنْ أُمِّ الْكُتُبِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ إِلَىٰ مِثْلِهَا مِنْ قَابِلٍ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ وَرِزْقٍ وَمَطَرٍ وشَيْءٍ حَتَّىٰ الْحُجَّاجُ يَكْتَبُونَ يَحُجُّ فُلَانٌ وَيَحُجُّ فُلَانٌ**».

والأثر عزاه السيوطي في «**الدر المنثور**»: (٦/ ٢٥) أيضا إلىٰ ابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم، وبنحوه قَالَ عكرمة.

وأما تسمية الحجيج بوفد الله، لما أخرجه ابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ٩٦٦، رقم ٢٨٩٣)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللهِ؛ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ، وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ**».

والحديث حسنه الألباني في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٢/ ٨، رقم ١١٠٨).

ثِيَابٌ مُتَرَهِّلَةٌ، وَلَا ثِيَابَ هُنَاكَ بَلْ قُلْ أَكْفَانٌ، اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يَجْمَعُ هَؤُلَاءِ، وَكَمْ فِي كُلِّ قَلْبٍ مِنَ الْخَوَاطِرِ الَّتِي لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللهُ، وَلَكِنْ مَنْ يُرَاقِبُهَا وَمَنْ يُحْصِيهَا؟!! إِنَّهُ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

وَكَمْ مِنْ دَاعٍ بِمُخْتَلَفِ اللُّغَاتِ عِنْدَمَا يَقُومُ عَلَىٰ صَعِيدِ عَرَفَاتٍ وَرَبُّكَ جَلَّ وَعَلَا يَسْمَعُ هَؤُلَاءِ جَمِيعًا، وَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُجِيبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَحْرِمُ مَنْ يَشَاءُ، وَالْوَاقِفُ هُنَالِكَ يَرْقُبُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ حَقًّا إِذَا كَانَ قَدْ خَرَجَ لِلهِ صِدْقًا، حَجَّ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ كَمَا فَعَلَ الْمُتَقَدِّمُونَ السَّالِفُونَ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ-؛ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ كَانَ يَقُولُ فِي صَعِيدِ عَرَفَاتٍ -وَهُوَ يَسْتَشْرِفُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْظُرَ عَلَىٰ الْمَدَىٰ[١]، «... وَقَدْ سَالَتْ بِأَعْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ»[٢]، هُوَ يَنْظُرُ فَلَا يَجِدُ إِلَّا رُءُوسًا قَدِ ارْتَفَعَتْ وَعُيُونًا هَاطِلَاتٍ بِالدُّمُوعِ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ إِلَّا نَشِيجًا[٣] عُلْوِيًّا

(١) «**الْمَدَىٰ**»، أي: الغاية التي ينتهي إليها النظر، ومَدىٰ كُل شَيْءٍ: غايَتُه.

(٢) عجز بيت من البحر الطويل، وصدره: «أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الأحاديثِ بَيْنَنَا... »، وهذا البيت من أبيات ثمانية، مطلعها: «وَلَمَّا قَضَيْنا مِنْ مِنًىٰ كُلَّ حَاجَةٍ... وَمَسَّحَ بالأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحُ».

أخرجها الشريف المرتضىٰ في «**أماليه**»: (٢/ ١١٠-١١١) ونسبها للمضرب، وهو: عقبة بن كعب بن زهير بن أبىٰ سلمىٰ، وهذه الأبيات تنسب أيضا إلىٰ كثير عزة وإلىٰ يزيد بن الطثرية.

و«أطراف الأحاديث»: ما يستطرف منها ويؤثر، و«الْمَطِيِّ»: الإبل، و«الأباطح»: جمع أبطح؛ وهو المسيل الواسع، فيه دقاق الحصىٰ، والمعنىٰ: لما قطعنا أيّام منّىٰ، واستلمنا الأركان، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطيّ في الأبطح، وانظر: «**الشعر والشعراء**» لابن قتيبة: (١/ ٦٧-٦٨).

(٣) «**النشيج**»: تردد الْبكاء فِي الصَّدْر.

يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ، فَيَتَّهِمُ نَفْسَهُ وَإِنَّهُ لَمِنَ السَّابِقِينَ -إِنْ شَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ- يَقُولُ لِنَفْسِهِ بَاكِيًا نَاشِجًا: «لَوْلا أَنِّي فِيهِمْ لَرَجَوْتُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ!!»(١).

لَوْلَا أَنِّي فِيهِمْ، لَوْلَا أَنِّي قَدْ دَنَّسْتُ جَمْعَهُمْ، لَوْلَا أَنِّي قَدْ كَدَّرْتُ اجْتِمَاعَهُمْ، يُلْقِي عَلَىٰ نَفْسِهِ بِاللَّائِمَةِ، يَرْقُبُ سَيِّئَاتِهِ، وَهَلْ هُنَاكَ مَنْ لَا سَيِّئَةَ لَهُ حَاشَا الْمَعْصُومَ ﷺ؟!!

لَا يَذْهَبُ الْمَرْءُ هُنَاكَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَعُودَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَلِذَلِكَ يَأْتِي الْحَلْقُ، وَيَدْعُو النَّبِيُّ ﷺ لِلْمُحَلِّقِينَ ثَلَاثًا وَلِلْمُقَصِّرِينَ وَاحِدَةً، مَا الْحِكْمَةُ الَّتِي يُمْكِنُ أَنْ تَتَبَدَّىٰ مِنْ ذَلِكَ؟

هُوَ يَحْلِقُ فِي يَوْمِ النَّحْرِ إِذَا مَا كَانَ مُتَنَسِّكًا حَاجًّا عَابِدًا لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَأَمَّا خَدَمُ الْبَيْتِ الَّذِينَ لَمْ يَنْوُوا وَلَمْ يُهِلُّوا فَلَيْسُوا بِذَا، وَأَمَّا الَّذِي يَذْهَبُ حَاجًّا يَحْلِقُ رَأْسَهُ، وَتَلْحَظُ فِيهِ مَلْحَظًا عَجِيبًا، أَلَا تَعْلَمُ أَنَّ سُنَّةَ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّ الْغُلَامَ إِذَا مَا وُلِدَ فَإِنَّهُ فِي يَوْمِ سَابِعِهِ تُنْحَرُ عَنْهُ عَقِيقَتُهُ وَتُذْبَحُ، تُذْبَحُ عَنْهُ الْعَقِيقَةُ فِي يَوْمِ سَابِعِهِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّىٰ، فَأَمَّا التَّسْمِيَةُ قَبْلَ السَّابِعِ فَجَائِزَةٌ(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «**الزهد**»: (ص ١٩٧، رقم ١٣٦٣)، والعباس الدوري في «**تاريخ ابن معين**»: (٤/ ٣١٦، رقم ٤٥٧٠)، والبيهقي في «**شعب الإيمان**»: (١٠/ ٥١٢)، بإسناد صحيح، عن بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، أنه وقف بعرفة، فقال: «لَوْلا أَنِّي فِيهِمْ لَرَجَوْتُ أَنْ يُغْفَرَ لَهُمْ».

(٢) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٣/ ١٠٦، رقم ٢٨٣٧ و٢٨٣٨)، والترمذي في «**الجامع**»: (٤/ ١٠١، رقم ١٥٢٢)، والنسائي في «**المجتبىٰ**»: (٧/ ١٦٦، رقم =

وَأَمَّا السُّنَّةُ فَأَنْ تَكُونَ التَّسْمِيَةُ فِي السَّابِعِ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللهِ، فَكَأَنَّهُ لَمْ يُكْتَبْ فِي سِجِلِّ الْأَحْيَاءِ كَائِنًا يُمْكِنُ أَنْ يُنَادَىٰ وَيُسَمَّىٰ إِلَىٰ فِي يَوْمِ السَّابِعِ يَوْمَ يُذْبَحُ عَنْهُ عَقِيقَتُهُ وَيَوْمَ أَنْ تُرَاقَ الدِّمَاءُ، وَكَذَلِكَ يَكُونُ الْحَجُّ مَوْلُودًا الْوِلَادَةَ الثَّالِثَةَ؛ لِأَنَّ الْوِلَادَةَ الثَّانِيَةَ تَكُونُ يَوْمَ أَنْ تَعِيَ مَعْنَىٰ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ تَقُولَ وَأَنْتَ مُكَلَّفٌ عَلَىٰ رَأْسِ التَّكْلِيفِ بِالْإِرَادَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ، فَتُولَدُ عَلَىٰ يَدَيْ مُحَمَّدٍ ﷺ وِلَادَةَ النُّورِ وَوِلَادَةَ الصَّفَاءِ، ثُمَّ تَأْتِي وِلَادَةُ الْعُمُرِ كُلِّهِ عِنْدَمَا تَذْهَبُ إِلَىٰ هُنَاكَ.

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: فَإِذَا مَا طُفْتَ طَوَافَ الرُّكْنِ؛ يَعْنِي إِذَا مَا طُفْتَ فِي يَوْمِ النَّحْرِ لَعَلَّكَ تَكُونُ قَدْ ذَبَحْتَ فَكَأَنَّمَا قَدْ ذُبِحَ عَنْكَ يَوْمَ سَابِعِكَ بِمِيلَادِكَ عَقِيقَتُكَ وَسَالَتِ الدِّمَاءُ، فَأَنْتَ تَذْبَحُ هَدْيَكَ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، تَطُوفُ بِالْبَيْتِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَدْخُلَ فِي مَنْظُومَةِ الْكَوْنِ الطَّائِعِ الْعَابِدِ لِلهِ، وَيُبَشِّرُكَ الْمَلَكُ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، ثُمَّ تُحْلَقُ عَنْكَ شُعُورُكَ.

=

٤٢٢٠)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ١٠٥٦ - ١٠٥٧، رقم ٣١٦٥)، من حديث: سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:: «**كُلُّ غُلَامٍ مُرْتَهَنٌ بِعَقِيقَتِهِ: تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ السَّابِعِ وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ وَيُسَمَّىٰ**».

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»، وكذا صححه الألباني في «**إرواء الغليل**»: (٤/ ٣٨٥-٣٨٩، رقم ١١٦٥).

وَالنَّبِيُّ ﷺ أَمَرَ وَلِيَّ الْجَارِيَةِ وَوَلِيَّ الْغُلَامِ أَنْ يَذْبَحَ عَنْهُ فِي يَوْمِ سَابِعِهِ وَأَنْ يُسَمِّيَهُ، وَكَأَنَّ الْمَلَكَ يُسَمِّيكَ فِي يَوْمِ النَّحْرِ مِنْ أَجْلِ الْوِلَادَةِ الْأَخِيرَةِ الَّتِي إِذَا مَا مِتَّ بَعْدَهَا فَأَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَنْ مَاتَ مُحْرِمًا، عِنْدَمَا يَضَعُ الْيَدَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ: «**اعْمَلْ فِيمَا تَسْتَقْبِلُ فَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا مَضَىٰ**»[1].

اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ كَأَنَّمَا يُسَمِّيكَ بِتَسْمِيَةِ الْمَلَكِ فِي هَذِهِ الْوِلَادَةِ الْجَدِيدَةِ، وَعِنْدَئِذٍ تَحْلِقُ رَأْسَكَ كَمَا حُلِقَ عَنْكَ فِي سَابِعِكَ.

مَلَامِحُ وَعِظَاتٌ وَعِبَرٌ بَاهِرَاتٌ، وَلَوْ أَنَّكَ تَأَمَّلْتَ فِي الْعِبَادَاتِ الَّتِي فَرَضَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَتَجِدُ فِيهَا مِنَ الْحِكَمِ الْخَفِيَّاتِ وَالْبَادِيَاتِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ الْكَرِيمَ أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ -سُبْحَانَهُ- لَا يَجْعَلُ تِلْكَ الْعِبَادَاتِ ضَرْبَةَ لَازِبٍ؛ بِمَعْنَىٰ أَنْ تُؤَدِّيَهَا وَلَا تَنْظُرَ إِلَىٰ أَجْرٍ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ لَا شُكْرَ عَلَىٰ وَاجِبٍ كَمَا يَقُولُونَ، وَهَذَا تَكْلِيفٌ كَلَّفَكَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَعَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ، وَأَنْتَ إِذَا فَعَلْتَ مَا أَنْتَ مُكَلَّفٌ بِهِ؛ فَأَيُّ شُكْرٍ تَتَحَصَّلُ عَلَيْهِ حِينَئِذٍ؟ الْأَصْلُ أَنَّكَ تَأْتِي بِمَا كُلِّفْتَ بِهِ وَبِمَا هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْكَ، كَمَا أَنَّكَ تَأْكُلُ اللُّقْمَةَ وَتَشْرَبُ الشَّرْبَةَ؛ أَتُشْكَرُ وَتُحْمَدُ عَلَىٰ أَنَّكَ أَكَلْتَ وَشَرِبْتَ؟!!

فَهَذَا وَاجِبٌ عَلَيْكَ أَنْ تَأْتِيَ بِهِ وَإِلَّا كُنْتَ قَاتِلًا لِنَفْسِكَ جُوعًا، فَأَنْتَ إِذَا مَا أَتَيْتَ بِالْعِبَادَاتِ لَا يَجْعَلُهَا رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ ضَرْبَةَ لَازِبٍ، وَإِنَّمَا يَجْعَلُهَا

---

(١) تقدم تخريجه.

رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا عَطِيَّةً مِنْ عَطَايَاهُ الَّتِي لَا حَدَّ لَهَا، «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَىٰ الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**»(١).

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ اللهَ يُعْطِي وَإِنَّ اللهَ يَجُودُ، إِنَّ اللهَ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- عِنْدَمَا تَحُجُّ إِلَىٰ بَيْتِهِ الْحَرَامِ لَا تَرْجِعُ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ جَلَّ وَعَلَا وَأَنْتَ عَلَيْهِ وَافِدٌ مِنْ غَيْرِ عَطِيَّةِ الْقُرْبِ لِلْقُرْبِ مِنْ بَعْدِ أَنْ يُقَرِّبَكَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ يُزِيلَ عَنْكَ هَمَّكَ وَحُزْنَكَ وَتَرَحَكَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ يُزِيلَ عَنْكَ غَمَّكَ وَكُرَبَكَ، مِنْ بَعْدِ أَنْ يُعِيدَكَ كَيَوْمَ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ، وَمَاذَا تُرِيدُ بَعْدُ إِلَّا اسْتِقَامَةَ اللِّسَانِ وَاسْتِقَامَةَ الْجَنَانِ، وَاسْتِقَامَةَ الْقَدَمِ عَلَىٰ الصِّرَاطِ صِرَاطِ النَّبِيِّ الْعَدْنَانِ ﷺ.

يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رِجَالٌ!!(*).

❀❀❀

(١) أخرجه مسلم في «**الصحيح**»: (١/ ٢٠٩، رقم ٢٣٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْحَجُّ مَدْرَسَةُ الْإِسْلَامِ الْكُبْرَىٰ».

حَالُ الْمُسْلِمِ بَعْدَ أَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ

عِبَادَ اللهِ! يَنْبَغِي لِلْحَاجِّ أَنْ يَسْتَشْعِرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ بِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ، وَمِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ أَنْ يَسْتَمِرَّ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَأَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ﷻ وَدَوَامِ مُرَاقَبَتِهِ، يَقُولُ -سُبْحَانَهُ-: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢][(١)].

فَالْزَمْ يَا رَسُولَ اللهِ النَّهْجَ الْمُسْتَقِيمَ الْمُتَوَسِّطَ بَيْنَ طَرَفَيِ الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ، وَاثْبُتْ عَلَىٰ دِينِ رَبِّكَ وَالْعَمَلِ بِهِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ أَنْتَ وَمَنْ آمَنَ مَعَكَ مِنْ أُمَّتِكَ.

وَلَا تُجَاوِزُوا مَا حُدِّدَ لَكُمْ بِإِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ، إِنَّهُ -سُبْحَانَهُ- بَصِيرٌ -دَوَامًا- بِكُلِّ مَا تَعْمَلُونَ فِي حَيَاتِكُمْ، وَسَيُعَاقِبُ الْمُتَجَاوِزِينَ حُدُودَهُ بِعَدْلِهِ.[(*)].

وَعَنْ أَبِي عَمْرٍو -وَقِيلَ: أَبِي عَمْرَةَ- سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ ؓ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ.

---

(١) بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ مِنْ خُطْبَةِ وَزَارَةِ الْأَوْقَافِ الْمِصْرِيَّةِ: «مَاذَا بَعْدَ شَوَّالٍ؟» (ص: ٤) بِتَارِيخِ: ٤ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٤٠هـ| ٧-٦-٢٠١٩م.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» - [هود: ١١٢].

قَالَ ﷺ: «**قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(١).

«**ثُمَّ اسْتَقِمْ**»؛ مَعْنَاهُ: أَيِ اسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ مُمْتَثِلًا أَمْرَ اللهِ، مُجْتَنِبًا نَهْيَهُ»(٢). (*).

إِنَّ مِنْ عُقُوبَةِ السَّيِّئَةِ: السَّيِّئَةَ بَعْدَهَا، وَمِنْ ثَوَابِ الْحَسَنَةِ: الْحَسَنَةُ بَعْدَهَا.(*/٢).

إِنَّ الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ يَعْبُدُ رَبَّهُ إِلَىٰ آخِرِ نَفَسٍ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ «**مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٥).

إِلَىٰ آخِرِ لَحْظَةٍ -إِلَىٰ الْغَرْغَرَةِ- عِبَادَةٌ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ: ﴿ **وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ** ﴾؛ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْمَوْتُ.(*/٣).

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧- ٨].

---

(١) «**الأربعون النووية**»: (ص٧٤، رقم ٢١)، وأخرجه مسلم: (١/ ٦٥، رقم ٣٨)، من حديث: سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الثَّقَفِيِّ رضي الله عنه.

(٢) «**الفتح المبين بشرح الأربعين**» للهيثمي: (ص٦٤٣).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: «شَرْحُ الْأَرْبَعِينَ النَّوَوِيَّةِ» (الْحَدِيثُ الْحَادِي وَالْعِشْرِينَ: قُلْ آمَنْتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ!) - الْأَرْبِعَاءُ ٢٣ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٥هـ| ٢٧-١١-٢٠١٣م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ مِنْ خُطْبَةِ: «تَيَقَّظ وانْتَبِه» - ١٩ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣٣هـ| ٥- ١٠- ٢٠١٢م.

(٥) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: ٣/ ١٩٠، رقم (٣١١٦)، من حديث: مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه.

والحديث حسنه الألباني في «**إرواء الغليل**»: ٣/ ١٤٩، رقم (٦٨٧).

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «كُنْ رَبَّانِيًّا!» - الْجُمُعَة ٣٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨هـ| ١٢-١٠-٢٠٠٧م.

فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ عَمَلٍ نَافِعٍ مُفِيدٍ يُقَرِّبُكَ إِلَىٰ اللهِ؛ فَاجْتَهِدْ فِي عَمَلٍ نَافِعٍ جَدِيدٍ، وَأَتْعِب نَفْسَكَ فِيهِ، وَلَا تُخْلِ وَقْتًا مِنْ أَوْقَاتِكَ فَارِغًا، وَلَا تَرْكَنْ إِلَىٰ الرَّاحَةِ وَالدَّعَةِ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ وَحْدَهُ فَتَضَرَّعْ، وَاجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ فِي جَمِيعِ مَطَالِبِ دُنْيَاكَ وَآخِرَتِكَ، وَتَرَفَّع عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ، فَهُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَىٰ إِجَابَتِكَ وَإِسْعَافِكَ.(*).

فَالْعِبَادَةُ لَا تَنْقَطِعُ أَبَدًا.(*/٢).

وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً، كَانَ عَمَلُهُ دَائِمًا لَا يَنْقَطِعُ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ.(*/٣).

* **إِنَّ أَدَاءِ مَنَاسِكِ الْحَجِّ لَيْسَ نِهَايَةَ الطَّاعَاتِ، بَلْ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ، كَالْإِكْثَارِ مِنَ النَّوَافِلِ بَعْدَ أَدَاءِ الْفَرَائِضِ**؛ كَمَا قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: «**وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَدَاءِ مَا افْتَرَضْتُهُ عَلَيْهِ، وَلَا يَزَالُ الْعَبْدُ يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَلَئِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ** -وَهَذَا فِي تَحْصِيلِ الْمَحْبُوبِ- **وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ** -وَهَذَا فِي الْوِقَايَةِ مِنَ الْمَرْهُوبِ-».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [الشرح: ٧-٨].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «كُنْ رَبَّانِيًّا!» - الْجُمُعَة ٣٠ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٢٨هـ| ١٢-١٠-٢٠٠٧م.

(*/ ٣) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «وَمَاذَا بَعْدَ رَمَضَانَ؟» - الْجُمُعَة ١ مِنْ شَوَّالٍ ١٤٣١هـ| ١٠-٩-٢٠١٠م.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ النَّوَافِلِ تَقَرُّبًا إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

إِنَّ الْمُدَاوَمَةَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ﷻ وَحُسْنَ مُرَاقَبَتِهِ مِنْ أَسْبَابِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

وَعَدَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَاسْتَقَامَ عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ.. وَعَدَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَذَا الْوَعْدَ الْحَقَّ الَّذِي لَا يَتَخَلَّفُ؛ بِتَثْبِيتٍ فِي الْحَيَاةِ، وَثَوَابٍ بَعْدَ الْمَمَاتِ.

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾: عِنْدَ قَبْضِ أَرْوَاحِهِمْ(٢)؛ لَا تَخَافُوا مِمَّا أَنْتُمْ مُقْدِمُونَ مُقْبِلُونَ عَلَيْهِ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا خَلَّفْتُمْ وَرَاءَكُمْ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، سَيَحْفَظُكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهِ(٣)؛ ﴿تَتَنَزَّلُ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ -بِتَصَرُّفٍ يَسِيرٍ وَاخْتِصَارٍ- مِنْ خُطْبَةِ: «مَحَبَّةُ اللهِ لِلْعَبْدِ» - الْجُمُعَةُ ١٥ مِنْ رَجَبٍ ١٤٢٩هـ| ١٨-٧-٢٠٠٨م.

(٢) «**تفسير السعدي**»: (ص٣٦٨).

(٣) أخرج الطبري في «**جامع البيان**»: (٢٤/ ١١٦)، وعبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «**تفسير مجاهد**»: (ص٥٨٦)، والبيهقي في «**إثبات عذاب القبر**»: (ص٦٦، رقم ٧٤)، =

عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾.(*).

فَالْمُسْلِمُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ فَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ دِينِكَ**».

يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ فِي أَكْثَرِ مَا يَدْعُو بِهِ رَبَّهُ جَلَّوَعَلَا: «**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**».

يَقُولُ أَنَسٌ: فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا قَدْ آمَنَّا بِكَ، وَصَدَّقْنَا بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الْهُدَىٰ وَالنُّورِ مِنْ عِنْدِ رَبِّكَ؛ أَفَتَخْشَىٰ عَلَيْنَا؟».

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّمَا قُلُوبُ الْخَلْقِ جَمِيعًا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**»(٢).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يَدْعُو رَبَّهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ، وَالنَّبِيُّ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ.

=

بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾، قَالَ: «عِنْدَ الْمَوْتِ»، وَقَوْله: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾، قَالَ: «لَا تَخَافُوا مَا تَقْدَمُونَ عَلَيْهِ مِنْ أَمَرِ الْآخِرَةِ، وَلَا تَحْزَنُوا عَلَىٰ مَا خَلَّفْتُمْ مِنْ دُنْيَاكُمْ مِنْ أَهْلٍ وَوَلَدٍ، فَإِنَّا نَخْلُفُكُمْ فِي ذَلِكَ كُلِّهِ».

وروي -أيضًا- عن السُّدِّيِّ نحوه.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ» - الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣١هـ| ١٥-١٠-٢٠١٠م.

(٢) أخرجه الترمذي (٢١٤٠)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، وصححه الألباني في «المشكاة» (١٠٢).

«**اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ**».

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ! صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**»(١).

فَالنَّبِيُّ ﷺ يُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ قُلُوبَ الْخَلْقِ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، وَأَنَّكَ لَا تَدْرِي بِمَا سَبَقَ الْكِتَابُ عَلَيْكَ؛ أَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

وَلِذَلِكَ كَانَ سُفْيَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ يَسْأَلُ النَّاسَ كَثِيرًا، يَقُولُ: هَلْ بَكَيْتَ عَلَىٰ سَابِقِ عِلْمِ اللهِ فِيكَ؟

فَيَقُولُ لَهُ الْقَائِلُ: تَرَكْتَنِي لَا أَفْرَحُ مِنْ بَعْدِهَا أَبَدًا.

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُومُ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا بَاكِيًا، وَيَقُولُ: «يَا رَبِّ! قَدْ عَلِمْتَ أَهْلَ الْجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَفِي أَيِّ الْفَرِيقَيْنِ كُتِبَ مَالِكٌ؟

وَيَبْكِي بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ سَابِقِ عِلْمِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فِيهِ».

وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ**»، وَهُوَ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»(٢) مِنْ رِوَايَةِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِخَوَاتِيمِهَا**».

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤)، من حديث: عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَىٰ طَاعَتِكَ**».

(٢) «صحيح البخاري» (٦٤٩٣، و٦٦٠٧)، والحديث أصله في «الصحيحين» بدون هذا اللفظ، وقد تقدم.

وَيقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَثَلُ الْأَعْمَالِ كَمَثَلِ الْإِنَاءِ؛ إِذَا طَابَ أَعْلَاهُ طَابَ أَسْفَلُهُ، وَإِذَا خَبُثَ أَعْلَاهُ خَبُثَ أَسْفَلُهُ**»(١).(*).

* **مِنْ أَعْظَمِ آثَارِ الْحَجِّ: الِاسْتِقَامَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ الْحَقِّ**؛ فَالْحَجُّ مَيْدَانٌ فَسِيحٌ مِنْ مَيَادِينِ غَرْسِ الْعَقِيدَةِ فِي الْقُلُوبِ.

وَمِنْ خِلَالِ النَّظَرِ إِلَىٰ الْآيَاتِ الَّتِي ذَكَرَتِ الْحَجَّ، أَوِ الَّتِي تُؤَدَّىٰ فِيهَا فَرِيضَةُ الْحَجِّ؛ نَجِدُ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ رَكَّزَ عَلَىٰ تِبْيَانِ التَّوْحِيدِ وَأَمَرَ بِهِ فِي مَوَاقِفَ كَثِيرَةٍ، وَآيَاتٍ عِدَّةٍ.

فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ هَيَّأَ تِلْكَ الْبُقْعَةَ الْمُبَارَكَةَ، وَطَهَّرَهَا مِنَ الشِّرْكِ؛ إِعْلَانًا بِأَنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ شِعَارُ الْحَجِّ، وَشِعَارُ الْأَمَاكِنِ الَّتِي يُؤَدَّىٰ فِيهَا الْحَجُّ، وَقَدْ أَمَرَ اللهُ تَعَالَىٰ إِبْرَاهِيمَ بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَأَمَرَهُ بِتَطْهِيرِهَا مِنَ الشِّرْكِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة: ١٢٥].

وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].(*/٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٥، و٤١٩٩)، من حديث: مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، بلفظ: «**لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ، وَإِنَّمَا الْأَعْمَالُ كَالْوِعَاءِ؛ إِذَا طَابَ أَسْفَلُهُ طَابَ أَعْلَاهُ، وَإِذَا فَسَدَ أَسْفَلُهُ فَسَدَ أَعْلَاهُ**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١٧٣٤).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «حُسْنُ الْخَاتِمَةِ».

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «التَّوْحِيدُ شِعَارُ الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١-٩-٢٠١٧م.

النَّبِيُّ ﷺ دَلَّنَا عَلَىٰ عِظَمِ هَذِهِ الشَّعِيرَةِ وَهَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْجَلِيلَةِ الَّتِي كَانَتْ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَأْتِ بِبِدْعٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَإِنَّمَا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ بِالدَّعْوَةِ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْأَنْبِيَاءُ وَالْمُرْسَلُونَ مِنْ قَبْلِهِ، وَهِيَ الدَّعْوَةُ إِلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

وَالْحَجُّ مِنْ أَجْلَىٰ مَجَالِي تَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَنْسَلِخُ مِنْ مَأْلُوفِ عَادَاتِهِ، وَيَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ إِخْوَانِهِ وَأَحِبَّائِهِ؛ ضَارِبًا فِي أَرْضِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، قَاصِدًا بَيْتَهُ الْحَرَامَ؛ تَلْبِيَةً لِمَا أَمَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِهِ، آتِيًا بِإِعْلَانِ الْعُبُودِيَّةِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحْدَهُ: «**لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ**»: إِجَابَةً مِنْ بَعْدِ إِجَابَةٍ، «**لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ**»، وَهُوَ اسْتِعْلَانٌ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَىٰ اللهِ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ بِالْعَمَلِ وَالْقَوْلِ وَالنِّيَّةِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِالتَّوْحِيدِ وَحْدَهُ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ.

«**لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، لَبَّيْكَ إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ**».

فَفِي هَذَا -كَمَا تَرَىٰ- أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنْ إِعْلَانِ الْعُبُودِيَّةِ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ بِتَوْحِيدِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.(*).

«وَهَذِهِ الْكَعْبَةُ الَّتِي كَانَتْ وَلَا تَزَالُ مَحَطَّ أَشْوَاقِ الْأُمَمِ الْعَظِيمَةِ مِنَ النَّاسِ مِنْذُ بَنَاهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ خُطْبَةِ: «أَحْوَالُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ٧ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٢٩هـ| ٥-١٢-٢٠٠٨م.

إِنَّ حُجَّاجًا لَا يُحصَوْنَ وَلَا يُعَدُّونَ قَدْ بَذَلُوا تَضْحِيَاتٍ عَظِيمَةً عَبْرَ الْعُصُورِ لِلْوُصُولِ إِلَىٰ هَذِهِ الْمَحَجَّةِ -يَعْنِي الْكَعْبَةَ الْمُشَرَّفَةَ-، فَمَاتَ كَثِيرُونَ مِنْهُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ، وَبَلَغَهَا كَثِيرُونَ مِنْهُمْ بَعْدَ مَشَقَّةٍ كُبْرَىٰ وَفِي أَعْيُنِهِمْ جَمِيعًا كَانَ ذَلِكَ الْمَبْنَىٰ الْمُرَبَّعُ ذُرْوَةَ آمَالِهِمْ وَغَايَةَ أَحْلَامِهِمْ».

«لَيْسَ مِنْ أَجْلِ الَّتِي لَا تُحِسُّ وَلَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ، وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ اللهِ».

هَذِهِ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ.

فَهُوَ الَّذِي كَرَّمَهَا، وَهُوَ الَّذِي أَقَامَهَا أَوْ رَفَعَهَا وَشَرَّفَهَا، وَهُوَ الَّذِي فَرَضَ الْحَجَّ إِلَيْهَا، فَمِنْ أَجْلِ اللهِ وَحْدَهُ سَعْيُهُمْ وَكِفَاحُهُمْ وَعَنَاؤُهُمْ وَتَعَبُهُمْ، بَلْ وَمَوْتُهُمْ عَلَىٰ الطَّرِيقِ.(*).

فَالتَّوْحِيدُ هُوَ شِعَارُ الْحَجِّ، وَالْحَجُّ تَتَبَدَّىٰ فِيهِ فِي كُلِّ مَظَاهِرِهِ، وَأَقْوَالِهِ، وَأَعْمَالِهِ، وَحَرَكَاتِهِ، وَسَكَنَاتِهِ تَوْحِيدُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَهُوَ تَدْرِيبٌ عَمَلِيٌّ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِخْلَاصِ النِّيَّةِ لِلهِ تَعَالَىٰ وَحْدَهُ، وَعَلَىٰ قَصْدِهِ لَا قَصْدِ سِوَاهُ بِالْعِبَادَةِ، مَعَ إِفْرَادِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِي الْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ بِكُلِّ عِبَادَةٍ، وَبِكُلِّ حَرَكَةٍ وَسَكَنَةٍ، وَبِكُلِّ إِنْفَاقٍ، وَبِكُلِّ سَفَرٍ، وَبِكُلِّ حَلٍّ وَتَرْحَالٍ؛ كُلُّ ذَلِكَ لِلهِ جَلَّ وَعَلَا، ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦]؛ لَا لِسِوَاهُ.(*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «مُحَمَّد أَسَد.. وَحَقِيقَةُ الْإِسْلَامِ» - الْجُمُعَةُ ٢٢ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٢هـ| ١٨-١١-٢٠١١م.

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «التَّوْحِيدُ شِعَارُ الْحَجِّ» - الْجُمُعَةُ ١٠ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٨هـ| ١-٩-٢٠١٧م.

* **كَمَا يَنْبَغِي لِلْحَاجِّ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُ حَجِّهِ فِي حُسْنِ خُلُقِهِ وَمُعَامَلَاتِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَقْتُ الْحَجِّ أَشْهَرٌ مَعْلُومَاتٌ وَهِيَ: «**شَوَّالٌ، وَذُو الْقَعْدَةِ، وَعَشْرٌ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ**»؛ لِأَنَّ أَرْكَانَ الْحَجِّ تُسْتَوْفَىٰ فِيهَا، وَتُؤْخَذُ الْأُهْبَةُ لَهُ فِيهَا، وَيُحْرَمُ بِهِ -أَيْ بِالْحَجِّ فِيهَا-، فَمَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ وَأَوْجَبَ عَلَيْهَا فِي الْأَشْهُرِ الْمَعْلُومَاتِ الْحَجَّ بِالْإِحْرَامِ؛ فَيَحْرُمُ عَلَيْهِ الْجِمَاعُ وَمُقَدِّمَاتُهُ الْقَوْلِيَّةُ وَالْفِعْلِيَّةُ، وَتَحْرُمُ عَلَيْهِ الْمَعَاصِي وَالْمِرَاءُ وَالْمُخَاصَمَةُ، فَإِذَا كُنْتُمْ قَدْ تَنَزَّهْتُمْ فِي حَجِّكُمْ عَنْ كُلِّ شَرٍّ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمُ اجْتَمَعْتُمْ لِعَمَلِ الْخَيْرِ، فَتَنَافَسُوا فِيهِ، وَتَبَادَلُوا النَّفْعَ، وَاعْمَلُوا عَلَىٰ مَا يُقَوِّي جَمْعَكُمْ، وَيُزِيلُ الضُّرَّ عَنْكُمْ، وَيَدْفَعُ عَنْكُمْ كَيْدَ الْكَائِدِينَ.(*).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٢).

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ**». رَوَاهُ مُسْلِمٌ(٣). (*/٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ»- [البقرة: ١٩٧].

(٢) أخرجه البخاري (١٥٢١، و١٨١٩، و١٨٢٠)، ومسلم (١٣٥٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، ومسلم (١٣٤٩).

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ شَرْحِ: «الْجَوْهَرَةِ الْفَرِيدَةِ» - رُكْنِ الْحَجِّ - مُحَاضَرَة ٢٥ - الْخَمِيسُ ٦ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ ١٤٣٧هـ| ٨-٩-٢٠١٦م.

لَقَدْ أَمَرَ اللهُ ﷻ بِالْإِحْسَانِ إِلَىٰ النَّاسِ عُمُومًا فَقَالَ: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]؛ **وَمِنَ الْقَوْلِ الْحَسَنِ أَمْرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُهُمُ الْعِلْمَ، وَبَذْلُ السَّلَامِ، وَالْبَشَاشَةُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ كُلِّ كَلَامٍ طَيِّبٍ.**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُواْ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

الْبِرُّ يَدْخُلُ فِيهِ جَمِيعُ الطَّاعَاتِ الْبَاطِنَةِ؛ كَالْإِيمَانِ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالطَّاعَاتُ الظَّاهِرَةُ؛ كَإِنْفَاقِ الْأَمْوَالِ فِيمَا يُحِبُّهُ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَقْدَارِ؛ كَالْمَرَضِ وَالْفَقْرِ، وَعَلَىٰ الطَّاعَاتِ؛ كَالصَّبْرِ عِنْدَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ.(*).

* **وَالْحَجُّ يُعَلِّمُ الْمُسْلِمَ التَّوَاضُعَ؛** فَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِثَالًا لِلتَّوَاضُعِ شَاخِصًا، مِثَالًا لِلْبُعْدِ عَنِ الْكِبْرِ وَالْعُجْبِ مَاثِلًا وَقَائِمًا -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

وَإِذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ قَدْ قَالَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ**»(٢)، فَإِنَّمَا أَتَىٰ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَزَمَ؛ لِأَنَّ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «التَّعْلِيقُ وَالتَّهْذِيبُ عَلَىٰ جَامِعِ الْعُلُومِ وَالْحِكَمِ» - الْمُحَاضَرَةُ ٤٢ الِاثْنَيْن ١٨ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٣هـ| ٦-٨-٢٠١٢م.

(٢) أخرجه مسلم (١٢٩٧)، من حديث: جَابِرٍ رضي الله عنه.

فِي أَرْضِهِ، وَهُوَ خَاتَمُ الْمُرْسَلِينَ -صَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ-.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ مِثَالًا لِلْعَبْدِ الْقَانِتِ الْمُنِيبِ: «**لَا تُطْرُونِي**[1] **كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** ﷺ[2]»[3].

فَحَقَّقَ الْعُبُودِيَّةَ لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، سُلُوكًا وَتَطْبِيقًا وَعَمَلًا، وَكَانَ لِلهِ مُتَوَاضِعًا.

نَحَرَ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بَدَنَةً، نَحَرَهَا بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يُنِيبَ وَأَنْ يُوَكِّلَ، وَلَكِنْ نَحَرَ بِيَدِهِ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: كَأَنَّمَا كَانَتْ إِشَارَةً إِلَىٰ عُمُرِهِ الشَّرِيفِ؛ إِذْ عَاشَ ثَلَاثَةً وَسِتِّينَ عَامًا ﷺ، وَوَكَّلَ عَلِيًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي نَحْرِ تَمَامِ الْمِائَةِ، ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ هَدْيِهِ كَمَا يَأْكُلُ الْحَجِيجُ، مُتَوَاضِعًا لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.(*).

فَعَلَى الْحَاجِّ أَنْ يَكُونَ مُتَوَاضِعًا، وَأَنْ يَكُونَ وَجِلًا؛ فَقَدْ مَدَحَ اللهُ أَهْلَ الْخَوْفِ فِي كِتَابِهِ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ**﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿**أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥٧-٦١].

---

(١) (الإِطْرَاءِ): هُوَ مُجَاوَزَةُ الحَدِّ فِي المَدْحِ، والكَذِبُ فِيهِ، «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ١٢٣) مادة: (طَرَا).

(٢) لِأَنِّي مَوْصُوفٌ بِالْعُبُودِيَّةِ وَالرِّسَالَةِ، فَلَا تَقُولُوا فِيَّ شَيْئًا يُنَافِيهِمَا مِنْ نُعُوتِ الْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٤٥، ٦٨٣٠)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، عن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِن: خُطْبَةِ: «تَوَاضُعُ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَجَّتِهِ» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ ١٤٣١هـ | ٢٩-١٠-٢٠١٠م.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! قَوْلُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ(١) وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ(٢) أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ وَيَسْرِقُ؟

قَالَ: «**لَا يَا ابْنَةَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ، وَيَخَافُ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُ**»(٣). أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَهُوَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.(*).

---

(١) «**وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا**»، أَيْ: يُعْطُونَ مَا أَعْطَوْهُ مِنَ الزَّكَاةِ وَالصَّدَقَاتِ.

(٢) «**قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ**» أَيْ: خَائِفَةٌ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، وَأَنْ لَا يَقَعَ عَلَىٰ الْوَجْهِ اللَّائِقِ فَيُؤَاخَذُونَ بِهِ.

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ فِي «**الجامع**»: (٥/ ٣٢٧، رقم ٣١٧٥)، وَابْنُ مَاجَهْ فِي «**السنن**»: (٢/ ١٤٠٤، رقم ٤١٩٨).

والحديث صححه لغيره الألباني في «**الصحيحة**»: (١/ ٣٠٤-٣٠٦، رقم ١٦٢)، وقال: «والسر في خوف المؤمنين أن لا تقبل منهم عبادتهم، ليس هو خشيتهم أن لا يوفيهم الله أجورهم، وإنما السر: أن القبول متعلق بالقيام بالعبادة كما أمر الله عَزَّ وَجَلَّ، وهم لا يستطيعون الجزم بأنهم قاموا بها علىٰ مراد الله، بل يظنون أنهم قصروا في ذلك، ولهذا فهم يخافون أن لا تقبل منهم.

فليتأمل المؤمن هذا عسىٰ أن يزداد حرصا علىٰ إحسان العبادة والإتيان بها كما أمر الله، وذلك بالإخلاص فيها له، واتباع نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هديه فيها. وذلك معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [**الكهف**: ١١٠]».

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مُخْتَصَرٌ مِنْ: خُطْبَةِ: «مَقَامَاتُ الْخَائِفِينَ وَالصَّائِمِينَ» - الْجُمُعَةُ ٥ مِنْ رَمَضَانَ ١٤٣٧هـ| ١٠-٦-٢٠١٦م.

وَالْإِنْسَانُ إِذَا لَمْ يَخَفْ رَبَّهُ اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَأَمَّا إِذَا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ نَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ؛ كَمَا قَالَ اللهُ.(*).

* **فَلْيَجْتَهِدِ الْعَبْدُ فِي الطَّاعَاتِ، وَلْيَحْذَرْ مِنَ الْعُجْبِ فَإِنَّهُ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ،** «إِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِعَبْدٍ خَيْرًا فَتَحَ لَهُ مِنْ أَبْوَابِ التَّوْبَةِ وَالنَّدَمِ، وَالِانْكِسَارِ، وَالذُّلِّ وَالِافْتِقَارِ، وَالِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَصِدْقِ اللَّجْأِ إِلَيْهِ، وَدَوَامِ التَّضَرُّعِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِمَا أَمْكَنَ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا تَكُونُ تِلْكَ السَّيِّئَةُ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا وَالَّتِي اقْتَرَفَهَا سَبَبَ رَحْمَتِهِ، حَتَّىٰ يَقُولَ عَدُوُّ اللهِ: يَا لَيْتَنِي تَرَكْتُهُ وَلَمْ أُوقِعْهُ!

وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ بَعْضِ السَّلَفِ: إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ الذَّنْبَ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، وَيَعْمَلُ الْحَسَنَةَ يَدْخُلُ بِهَا النَّارَ.

قَالُوا: كَيْفَ؟!!

قَالَ: يَعْمَلُ الذَّنْبَ فَلَا يَزَالُ نُصْبَ عَيْنَيْهِ خَائِفًا مِنْهُ مُشْفِقًا، وَجِلًا بَاكِيًا، نَادِمًا مُسْتَعْبِرًا، مُسْتَحِيًا مِنْ رَبِّهِ جَلَّوَعَلَا، نَاكِسَ الرَّأْسِ بَيْنَ يَدَيْهِ، مُنْكَسِرَ الْقَلْبِ لَهُ، فَيَكُونُ ذَلِكَ الذَّنْبُ أَنْفَعَ لَهُ مِنْ طَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ بِمَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الَّتِي بِهَا سَعَادَةُ الْعَبْدِ وَفَلَاحُهُ، حَتَّىٰ يَكُونَ ذَلِكَ الذَّنْبُ سَبَبَ دُخُولِهِ الْجَنَّةَ، وَيَفْعَلُ الْحَسَنَةَ فَمَا يَزَالُ يَمُنُّ بِهَا عَلَىٰ رَبِّهِ، وَيَتَكَبَّرُ بِهَا، وَيَرَىٰ نَفْسَهُ، وَيُعْجَبُ بِهَا، وَيَسْتَطِيلُ بِهَا، وَيَقُولُ: فَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، فَيُورِثُهُ مِنَ الْعُجْبِ وَالْكِبْرِ وَالْفَخْرِ وَالِاسْتِطَالَةِ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِ.

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ: «شَرْحُ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ» (الْمُحَاضَرَةُ الْخَامِسَةُ)، السَّبْتُ ٩ مِنْ صَفَرٍ ١٤٢٩هـ | ١٦-٢-٢٠٠٨م.

فَإِذَا أَرَادَ اللهُ جَلَّوَعَلَا بِهَذَا الْمِسْكِينِ خَيْرًا ابْتَلَاهُ بِأَمْرٍ يَكْسِرُهُ بِهِ، وَيُذِلُّ بِهِ عُنُقَهُ، وَيُصَغِّرُ بِهِ نَفْسَهُ عِنْدَهُ، وَإِنْ أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ خَلَّاهُ وَعُجْبَهُ وَكِبْرَهُ، وَهَذَا هُوَ الْخِذْلَانُ الْمُوْجِبُ لِهَلَاكِهِ»[1].[*].

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَالْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالْحَدِيثُ فِيهِ ضَعْفٌ، وَلَكِنْ لَهُ شَوَاهِدُ يَتَقَوَّىٰ بِهَا؛ فَيَرْتَقِي بِهَا إِلَىٰ دَرَجَةِ الْحَسَنِ لِغَيْرِهِ: عَنْ أَبِي أُمَيَّةَ الشَّعْبَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا ثَعْلَبَةَ الْخُشَنِيَّ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا ثَعْلَبَةَ كَيْفَ تَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]؟!!

قَالَ: أَمَا وَاللهِ، لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْهَا خَبِيرًا.

سَأَلْتُ عَنْهَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: «**بَلِ ائْتَمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ**[3]**، وَتَنَاهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا**[4]**، وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا**[5]**، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً**[6]**، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ -يَعْنِي بِنَفْسِكَ-**[7]،

---

(١) «**الوابل الصيب**»: (ص٦-٧).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «لَا تَحْزَنْ!» - الْجُمُعَةُ ٢١ مِنَ الْمُحَرَّمِ ١٤٣٣هـ| ١٦-١٢-٢٠١١م.

(٣) «**ائْتَمِرُوا**»، أَيِ: امْتَثِلُوا، «**بِالْمَعْرُوفِ**»، أَيْ: وَمِنْهُ الْأَمْرُ بِهِ.

(٤) «**شُحًّا مُطَاعًا**»، أَيْ: بُخْلًا مُطَاعًا بِأَنْ أَطَاعَتْهُ نَفْسُكَ وَطَاوَعَهُ غَيْرُكَ.

(٥) «**وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا**» بِصِيغَةِ الْمَفْعُولِ، أَيْ: وَهَوًىٰ لِلنَّفْسِ مَتْبُوعًا، وَطَرِيقَ الْهُدَىٰ مَدْفُوعًا، وَحَاصِلُهُ: أَنَّ كُلًّا يَتَّبِعُ هَوَاهُ وَمَا تَأْمُرُهُ نَفْسُهُ الْأَمَّارَةُ وَمَا تَتَمَنَّاهُ.

(٦) «**مُؤْثَرَةً**»، أَيْ: مُخْتَارَةً عَلَىٰ أُمُورِ الدِّينِ وَدَرَجَاتِ الْآخِرَةِ.

(٧) «**فَعَلَيْكَ**»، أي: إِنْ رَأَيْتَ أَمْرًا لَا طَاقَةَ لَكَ مِنْ دَفْعِهِ فَاعْتَزِلْ عَنِ النَّاسِ حَذَرًا مِنَ الْوُقُوعِ فيما هم فيه.

وَدَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ(١)**؛ فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ**(٢)**، الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَىٰ الْجَمْرِ**(٣)**، لِلْعَامِلِ فِيهِنَّ أَجْرُ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ**».

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ -كَمَا فِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ-: وَزَادَنِي غَيْرُهُ:

قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْهُمْ؟!

قَالَ: «**أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ**»(٤).(*).

عِبَادَ اللهِ! ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

---

(١) «**دَعْ عَنْكَ الْعَوَامَّ**»، أي: دَعْ أَمْرَ النَّاسِ إِلَىٰ اللهِ، فَإِنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

(٢) «**فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ**»، أَيْ: قُدَّامَكُمْ مِنَ الْأَزْمَانِ الْآتِيَةِ، «**أَيَّامَ الصَّبْرِ**»، أَيْ: أَيَّامًا لَا طَرِيقَ لَكُمْ فِيهَا إِلَّا الصَّبْرُ.

(٣) «**قَبْضٍ عَلَىٰ الْجَمْرِ**»، أي: أن الصابر يَلْحَقُهُ الْمَشَقَّةُ بِالصَّبْرِ كَمَشَقَّةِ الصَّابِرِ عَلَىٰ قَبْضِ الْجَمْرِ بِيَدِهِ.

(٤) أخرجه أبو داود في «**السنن**»: (٤/ ١٢٣، رقم ٤٣٤١)، والترمذي في «**الجامع**»: (٥/ ٢٥٧-٢٥٨، رقم ٣٠٥٨)، وابن ماجه في «**السنن**»: (٢/ ١٣٣٠، رقم ٤٠١٤).

قال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ»، وصحح للشواهد جملة: «**أيام الصبر..**» في «**صحيح الترغيب والترهيب**»: (٣/ ٢٣٣، رقم ٣١٧٢).

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْقَابِضُونَ عَلَىٰ الْجَمْرِ» - الْجُمُعَةُ ٢٣ مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ ١٤٣٠هـ | ٢٠-٣-٢٠٠٩م.

وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللهُ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ الَّذِي يُثِيبُكُمْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَتَزَوَّدُوا بِالتَّقْوَىٰ لِمَعَادِكُمْ عِنْدَمَا تَرْحَلُونَ عَنِ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ، فَإِنَّ أَفْضَلَ زَادٍ يَتَزَوَّدُ الْإِنْسَانُ بِهِ إِلَىٰ دَارِ الْآخِرَةِ هُوَ تَقْوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، بِالْتِزَامِ أَحْكَامِ شَرِيعَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ الَّذِي يُوصِلُ إِلَىٰ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ فِي الْجَنَّةِ.

وَخَافُوا عِقَابِي، وَالْتَزِمُوا بِشَرِيعَتِي، وَاشْتَغِلُوا بِعِبَادَتِي يَا ذَوِي الْعُقُولِ الْوَاعِيَةِ الدَّرَّاكَةِ الَّتِي تَعْقِلُ الْمَعَارِفَ فَتُمْسِكُ بِهَا، وَتَعْقِلُ النُّفُوسَ عَنِ اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ وَالشَّهَوَاتِ.(*).

اللَّهُمَّ احْمِلْنَا إِلَىٰ بَلَدِكَ الْحَرَامِ حُجَّاجًا وَمُعْتَمِرِينَ، وَمُقِيمِينَ مُزَاوِرِينَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصحَابِهِ أَجمَعِينَ.(*/٢).

❊❊❊

(*) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ سِلْسِلَةِ: «الْقِرَاءَةُ وَالتَّعْلِيقُ عَلَىٰ مُخْتَصَرِ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ- [البقرة: ١٩٧].

(*/ ٢) مَا مَرَّ ذِكْرُهُ مِنْ خُطْبَةِ: «الْحَجُّ مَدْرَسَةُ الْإِسْلَامِ الْكُبْرَىٰ».

الفِهْرِسُ

❀❀❀